

ولادة الإمام المهدي (عليه السلام)

اسم الكتاب: ولادة الإمام المهدي (عليه السلام)

المؤلف: السيد عبدالرحيم الموسوي

الموضوع: كلام

الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

الطبعة: الاولى

التاريخ: ١٤٢٥ هـ

المطبعة: لبلى

الكمية: ٣٠٠٠

ISBN: 964-8686- -

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمجمع العالمي

www.ahl-ul-bayt.org

كلمة المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

إنّ تراث أهل البيت (عليهم السلام) الذي اختزنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعبر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربّي النفوس المستعدة للاغتراف من هذا المعين، وتقدّم للأمة الإسلامية كبار العلماء المحتزين لخُطى أهل البيت (عليهم السلام) الرسالية، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) - منطلقاً من مسؤولياته التي أخذها على عاتقه - للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها التي ضبّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خُطى أهل البيت (عليهم السلام) وأتباع مدرستهم الرشيدة التي حرصت في الرد على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام في خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب في كلّ عصر.

إنّ التجارب التي تختزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) في هذا المضمار فريدة في نوعها ؛ لأنها ذات رصيد علمي يحتكم الى العقل والبرهان ويتجنّب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة.

وقد حاول المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) ان يقدم لطلاب الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنيّة في باب الحوار والسؤال والرد على الشبهات - التي أثّرت في عصور سابقة أو تثار اليوم ولا سيّما بدعم من بعض الدوائر الحاكمة على الإسلام والمسلمين من خلال شبكات الانترنت وغيرها - متجنّبة الإثارات المذمومة وحريصة على استثارة العقول المفكرة والنفوس الطالبة للحق، لتتفتح على الحقائق التي تقدّمها مدرسة أهل البيت الرسالية للعالم أجمع، في عصر يتكامل فيه العقول ويتواصل النفوس والأرواح بشكل سريع وفريد. ولا بدّ أن نشير الى أن هذه المجموعة من البحوث قد أعدت في لجنة خاصة من مجموعة من الأفاضل . ونتقدم بالشكر الجزيل لكل هؤلاء ولأصحاب الفضل والتحقيق لمراجعة كلّ منهم جملة من هذه البحوث وابداء ملاحظاتهم القيّمة عنها.

وكلّنا أمل ورجاء بأن نكون قد قدّمنا ما استطعنا من جهد أداءً لبعض ما علينا تجاه رسالة ربّنا العظيم الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه وكفى بالله شهيداً.

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

المعاونية الثقافية - قم المقدسة

ولادة الإمام المهدي (عليه السلام)

المقدمة

لم تكن المعركة بين الحق والباطل قد انتهت بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وإنما انتقلت الى لون آخر من ألوان الصراع واستخدم خط الباطل من الأمويين والعباسيين شتى ألوان الاضطهاد والقتل والتشريد بحق أتباع أهل البيت (عليهم السلام) .

كما توسعت أدوات المعركة وتعددت جبهاتها كل ذلك من أجل إبادة خط النبوة ومعالمه الإلهية المتجسد بالأئمة وأبنائهم ذلك الخط الذي رعته يد الرحمة فإذا كانت جبهة القتل والإبادة قد تضع أوزارها بين فترة وأخرى نجد المعركة الفكرية والسياسية لم تنقطع بل نراها في تزايد مستمر، وأحد مفرداتها التشكيك في عقائد أهل البيت (عليهم السلام) ومحاولة اغراء البسطاء من الأمة بصحة هذا التزوير والتحويل، ولما كان مفهوم الإمامة هو القطب الذي تدور رحى المعركة حوله، لذا فقد تقنن الخصوم بأساليبهم لغرض التشكيك بها، ومفردات التشكيك في هذا المفهوم قد تعددت، منها التشكيك في العصمة أو عدم جدوى وجود إمام غائب وأخرى في عدم امكانية طول العمر لهذا الإمام، وثالثة انكاره عن طريق التشكيك بولادته.

والبحث الذي بين أيدينا قد تناولنا فيه موضوع الولادة ضمن عدد من الفصول لننتهي من أن الإمام محمد المهدي (عليه السلام) قد ولد بالفعل لا كما يذهب البعض من أن المهدي الموعود ليس ابن الإمام الحسن العسكري وإنما شخص سيولد في المستقبل.

الفصل الأول

الإمام المهدي خاتم الأنمة المعصومين (عليهم السلام)

قبل الخوض في تفاصيل مسألة ولادة الإمام المهدي والنقاش الدائر حولها، لابد من الإلمام بمعرفة شخص الإمام وتحديد هويته ليتسنى لنا بعد هذا العرض أن نتناول موضوع الولادة والانتها فيما إذا كان هذا الإنسان المعني الذي تتحدث عنه الروايات في مصادر الفريقين قد ولد فعلاً وهو الآن موجود يمارس أعماله وأنشطته الإسلامية على ما يرام، أم سيولد في المستقبل كما يدعيه البعض ؟

وعلى كلا التقديرين فإن الروايات تشترك في حتمية ظهور المنقذ في آخر الزمان، إلا أنها تفترق في مسألة خلو مرحلة ما قبل الظهور من الحجة الإلهية، ولما كان الحديث عن الولادة فعلى فرض ثبوتها فهل ذلك المولود هو ابن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) صاحب العمر الطويل وخاتم الأئمة أم لا؟

الاجابة على هذه التساؤلات وغيرها سيتضح من خلال الفقرات التالية، والفقرات الأخرى اللاحقة .

أولاً: من هو المهدي؟

في هذه الفقرة سنشير الى جملة من الروايات التي سيتضح من خلالها هوية الإمام :
١ - لقد وصف النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة من بعده معالم شخص الإمام وشمائله الجسمية والأخلاقية الأمر الذي يتأكد من خلاله تشخيص المصدق وتعيينه في الخارج، فالحديث عنه ليس وهمياً أو أن هذا الإنسان ستأتي به الظروف والأحداث فيما بعد.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«لا تخلو الأرض من قائم بحجة أما ظاهر مشهور أو خائف مستور لنلا تبطل حجج الله وبيئاته».

وروي عن أمير المؤمنين والباقر (عليهما السلام) أنه قال:

«القائم المهدي من ولدي، اسمه اسمي وكنيته كنييتي، أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً»^(١).

«لا تقوم الساعة حتى يقوم قائم للحق منّا، وذلك حين يأذن الله عزّ وجلّ له. ومن تبعه نجا، ومن تخلف

عنه هلك. الله الله عباد الله، فأتوه ولو حبواً على الثلج، فإنه خليفة الله عزّ وجلّ وخليفتي!»^(٢).

(١) بحار الأنوار: ٧٢/٥١، واعلام الوری: ٣٩٩، وينايع المودة: ١٦٣ و١٦٨، وكشف الغمة: ٢٦١/٣ و ٢٦٩، وحقائق الإيمان:

(٢) عيون أخبار الرضا: ٦٠/٢، ومنتخب الأثر: ١٤٣.

وقال (صلى الله عليه وآله):

«المهديّ من عترتي، من ولد فاطمة، يقاتل على سنّتي كما قاتلت أنا على الوحي»^(٣).

وقال (صلى الله عليه وآله):

«من ولدي اثنا عشر نقيباً: نُجباء محدّثون مفهّمون، آخرهم القائم بالحق»^(٤).

وقال (صلى الله عليه وآله):

«الأئمة من بعدي اثنا عشر، تسعة من صُلب الحسين، والتاسع قائمهم، وهم أهل بيتي وعترتي من لحمي ودمي»^(٥).

«نحن سبعة من ولد عبدالمطلب سادة أهل الجنة: أنا، وحمزة، وعليّ، وجعفر والحسن، والحسين، والمهدي»^(٦).

وقال:

«إنّ لذلك الأمر (أمر المسلمين) ولادة من بعدي: عليّ بن أبي طالب وأحد عشر من ولده»^(٧).

وقال لعليّ مرة وبعض أصحابه يسمعون:

إنّ خلفائي وأوصيائي، وحُجج الله على الخلق بعدي، الاثنا عشر، أولهم عليّ، وآخرهم المهديّ»^(٨).
فالثاني عشر من الأئمة الأوصياء هو المهدي عجل الله تعالى فرجه، بنصّ النبي (صلى الله عليه وآله) الذي قال مكرراً: «الأئمة بعدي اثنا عشر: أولهم أنت يا عليّ، وآخرهم القائم الذي يفتح الله تعالى ذكرك على يديه مشارق الأرض ومغاربها...».

وقال (صلى الله عليه وآله):

«المقرّ بهم مؤمن، والمنكر لهم كافر»^(٩).

(٣) البيان: ٦٣، عيون أخبار الرضا: ١٣٠/٢ قريب منه، كشف الغمة: ٢٦٧/٣، منتخب الأثر: ١٤٣ و ١٧٩، والإمام المهدي: ٦٩ و ١٠٦ و ٢٩٦، إلزام الناصب: ٥٣، إسعاف الراغبين: ١٣٣ و ١٤٢، الحاوي للفتاوي: ١٢٤/٢ و ١٤٨ و ١٥٥، الغيبة للطوسي: ١١٤ بعضه، وبحار الأنوار: ٧٥/٥١ نصفه الأوّل ومثله في الملاحم والفتن: ٦٠ و ٦٨، المهدي المنتظر: ٤٣، ينابيع المودة: ٨٦/٣ ماعدا آخره ومثله في ص ٨٨ والمهدي: ٧٣.

(٤) الكافي ج ١ ص ٥٣٤، منتخب الأثر: ٣٣ بلفظ آخر والغيبة للطوسي: ٩٣ عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، وبحار الأنوار: ١٤٢/٥٣ بلفظ آخر، ومثله في ينابيع المودة: ١٦٢/٣ عن غاية المرام.

(٥) المهدي: ١٤٠، كشف الغمة: ٢٩٤/٣ بلفظ آخر، ومثله في ينابيع المودة: ١٦٧/٣، وفي صحيح مسلم: ٣/٦: كلهم من قريش، ومنتخب الأثر: ٥١ و ٨٢، والإمام المهدي: ٢٢ و ٢٨ و ١٠٥، إلزام الناصب: ٦٤ بلفظ قريب.

(٦) البيان: ٦٦، منتخب الأثر: ٨١ و ١٤٥، كشف الغمة: ٢٦٣/٣ و ٢٦٧، المحجة البيضاء: ٣٤٠/٤، الغيبة للطوسي: ١١٣، بحار الأنوار: ٦٥/٥١، ينابيع المودة: ٩١/٣، الصواعق المحرقة: ١٥٨ - ١٨٥، بشارة الإسلام: ٢٨٦ و ٢٩٠، الإمام المهدي: ٦٥ عن ذخائر العقبي، الحاوي للفتاوي: ١٢٤/٢.

(٧) الإرشاد: ٣٢٨.

(٨) ينابيع المودة: ١٠٨/٣.

وقال:

«الأئمة بعدي اثنا عشر، بعدد ثقباء بني إسرائيل، وبعدد الأسباط، وبعدد حوارى عيسى. من خالفهم فقد خالفني، ومن ردّهم وأنكرهم فقد ردّني، ومن أحبّهم واقتدى بهم فاز ونجا، ومن تخلف عنهم ضلّ وهوى. فطوبى لمن أحبّهم، والويل لمن أبغضهم»^(١٠).

«اثنا عشر من أهل بيتي، أعطاهم الله فهمي وعلمي وحكمتي، وخلقهم من طينتي، فويلّ للمتكبرين عليهم بعدي، القاطعين فيهم صلتى! ما لهم؟! لا أنالهم الله شفاعتي! هؤلاء هم خلفائي وأوصيائي، وأولادي وعترتي. من أطاعهم فقد أطاعني، ومن عصاهم فقد عصاني، ومن أنكرهم أو أنكر واحداً منهم فقد أنكرني، بهم يُمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبهم يحفظ الله الأرض أن تميد بأهلها»^(١١).

ثم قال (صلى الله عليه وآله) يصفهم وبضمنهم المهدي:

«ألا إنّ أبرار عترتي، وأطياب أرومتي، أحكمّ الناس صغاراً، وأعلم الناس كباراً. ألا وإنا أهل بيت من علم علمنا، وبحكم الله حكمنا، ومن قول صادق سمعنا. فإن تتبّعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا. معنا راية الحق، من تبعها لحق، ومن تأخّر عنها غرق. ألا وبنا يدرك ترة كل مؤمن، وبنا تُخلع ربقة الذل من أعناقكم، وبنا يُفتح لا بكم، ومنا يُختم لا منكم»^(١٢).

وجاء عنه (صلى الله عليه وآله) مبيناً من هو بالذات، ومشيراً من طرف خفيّ الى أنه يولد من حادي عشر الأئمة بلا فصل، وأنه لا يولد في آخر الزمان كما ذهب إليه البعض:

«إنّ الله عزّ وجلّ، ركّب في صلب الحسن (أي العسكري) نقطة مباركة زكية طيبة طاهرة مطهّرة، يرضى بها كل مؤمن أخذ الله ميثاقه بالولاية، ويكفر بها كل جاحد. فهو إمام تقيّ هاد مهديّ. أوّل العدل وآخره، يصدق الله عزّ وجلّ ويصدّقه الله في قوله. يكون معه صحيفة مختومة فيها عدد أصحابه بأسمائهم وأنسابهم وبلدانهم وصنائعهم وكلامهم وكُنَاهم»^(١٣).

وكلامهم يعني: لغاتهم...

وورد أنه قال لجابر بن عبد الله الأنصاري:

(٩) كشف الغمة: ٢٩٧/٣، الإمام المهدي: ٢٣، إلزام الناصب: ٦٤، منتخب الأثر: ٥٨، معاني والأخبار: ٣٧٠، ينابيع المودة:

١٦٨/٣، المهدي: ١٠١، إعلام الوری: ٣٧٠، الوسائل: م ١٨ ٥٦٢ ح ٢٧.

(١٠) بحار الأنوار: ٣٧٨/٥٢، الغيبة للنعمانی: ٥٨، أوله، منتخب الأثر: ٥٣ بلفظ آخر، ومثله في الملاحم والفتن: ٢٧.

(١١) منتخب الأثر: ٣٢، إلزام الناصب: ٦٣ - ٦٤ وفي ص ٢٣٧ بتقصیل، وبحار الأنوار: ٧٣/٥١ قريب منه، ومثله في كشف

الغمة: ٢٦٧/٣، الإمام المهدي: ١٠٨، اعلام الوری: ٣٧٠ نصفه الأوّل، الكافي ج ١ ص ٢٠٩ باختلاف يسير، المحجة البيضاء:

٢٤٣/١ - ٢٤٤، عيون أخبار الرضا: ٥٣/١.

(١٢) منتخب الأثر: ١٥١، ينابيع المودة: ١٧٤/٣ بعضه.

(١٣) إعلام الوری: ٣٨١، إلزام الناصب: ٦٣، بشارة الإسلام: ٨ - ٩ ما عدا آخره، بحار الأنوار: ٥٢ / ٣١٠ باختلاف يسير.

«إِنَّ هَذَا أَمْرٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ. وَسِرٌّ مِنْ سِرِّ اللَّهِ. عَلَنَةٌ مَطْوِيَّةٌ عَنْ عِبَادِ اللَّهِ. فَبِإِيَّاكَ وَالشُّكَّ فَإِنَّ الشُّكَّ فِي أَمْرِ اللَّهِ كُفْرٌ!»^(١٤).

ودخل جابر هذا على فاطمة (عليها السلام)، وبين يديها لوح^(١٥) فيه أسماء الأوصياء من ولدها، فعددت اثني عشر اسماً، آخرهم القائم، فعرف أن الأمر حتم من أمر الله تعالى... ومن جملة ما قرأ فيه:

قال الله تبارك وتعالى: «وَأَعْطَيْتُكَ - يَا مُحَمَّدٌ - مَنْ أَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ (يعني علياً) أَحَدَ عَشَرَ مَهْدِيًّا كُلَّهُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، مِنَ الْبَكْرِ الْبَتُولِ. آخِرُ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْجِي بِهِ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَأَهْدِي بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَأُبْرِيءُ بِهِ مِنَ الْعَمَى، وَأَشْفِي بِهِ الْمَرِيضَ، وَأُلْطَهْرَنَّ الْأَرْضَ بِآخِرِهِمْ مِنْ أَعْدَائِي، وَلَا مَلَكُئُهُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَلَا سَخَرَنَّ لَهُ الرِّيحُ، وَلَا رُكُضَنَّ لَهُ السَّحَابُ، وَلَا رُقِينَهُ فِي الْأَسْبَابِ، وَلَا تَصْرُفَهُ بَجُنْدِي، وَلَا مَدَنَهُ بِمَلَانِكَتِي، حَتَّى يُعْلَنَ دَعْوَتِي، وَيَجْمَعَ الْخَلْقَ عَلَى تَوْحِيدِي»^(١٦).

فمن خلال تلك الروايات تتضح هويته وفيها يثبت من كونه مولود فعلاً، لا سيولد كما يدّعيه البعض.

وفيما يخص بعض شمائله

١ - عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «المهدي منا أهل البيت أشم الأنف»^(١٧).

٢ - وعنه قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي أجلي أفتى»^(١٨).

٣ - عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «المهدي مني في وجهه خال»^(١٩).

(١٤) إعلام الوری: ٣٩٩، إلزام الناصب: ١٢٦ عن الصادق (عليه السلام) ومثله في بحار الأنوار: ٩١/٥٢ ما عدا آخره.. وبشارة الإسلام: ١٨، المهدي: ١٤٦، ينابيع المودة: ١٠٩/٣ و ١٦٤ و ١٦٩، المحجة البيضاء: ٣٣٧/٤.

(١٥) مجمع البحرين: ٧٨/٥، قال الإمام الصادق (عليه السلام): مصحف فاطمة (عليها السلام) فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات. والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، وليس فيه من حلال ولا حرام، ولكن فيه علم ما يكون. أنظر الغيبة للطوسي: ٩٢.

(١٦) بحار الأنوار: ٧٧/٥١ و ٢٧٧/٥٢ ما عدا آخره وص ٣١٢، ينابيع المودة: ١٦٠/٣ بتفصيل، ومثله في المهدي: ٢٢٩، بشارة الإسلام: ٥٠ و ١٢ و ١٣ بتفصيل وص ٢٤٤، الإمام المهدي: ٢١٦، منتخب الأثر: ٤٢٣ و ١٣٥ بلفظ آخر، ومثله في عيون أخبار الرضا: ٣٦/١ و ٢٠٦ بلفظ آخر. الغيبة للطوسي: ٩٥، إلزام الناصب: ٦٤ و ٦٦ و ٢٥١ أوله نقلاً عن البيان.

(١٧) الحاكم في المستدرک: ٥٥٧/٤، وسنن أبي داود: ١٠٧/٤ ح ٤٣٨٥، فرائد السمطين: ٣٣٠/٢ ح ٥٨٠.

(١٨) نور الأبصار: ١٨٧، سنن أبي داود: ١٠٧/٤ ح ٤٢٨٥.

(١٩) البرهان: ١٠٠، الباب الثالث ج ٦ والقول المختصر / ٧٧ باب ٢١.

ثانياً: طول عمر الإمام(عليه السلام)

يقتصر البحث في هذه الفقرة على الأدلة الروائية التي تثبت طول عمر الإمام الأمر الذي يتأكد من خلالها حقيقة ولادته(عليه السلام) .

قال جابر: «دخلت على فاطمة بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وبين يديها ألواحٌ فيها أسماء من ولدها، فعددت أحد عشر اسماً، آخرهم القائم^(٢٠)(عليه السلام) .

فموجب الحديث النبوي الشريف أنه (صلى الله عليه وآله) قد أشار بوضوح تام الى إطالة عمر القائم(عليه السلام) لأنه ما كان ليخرج إلا في مثل هذا العصر.

ثم يزيد في التأكيد على إطالة عمره من قبل الله تعالى، ويصارح بغيبه له تمتد حتى يأذن الله تعالى، قائلاً:

«لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي. ولو بقي في غيبته ما بقي نوح في قومه، لم يخرج من الدنيا حتى يظهر - أي يخرج من الغيبة وينتصر - فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»^(٢١) .

وقد لبث نوح في قومه (٩٥٠) سنة بنص القرآن الكريم، ولعلها فترة الدعوة والنبوة فقط ؛ أما عمره الكامل فهو بين

(١٧٥٠ و ٢٧٥٠) سنة بحسب اختلاف الأخبار التاريخية.. ثم ركز النبي(صلى الله عليه وآله) على قضيتته وأنزلها في رأس اهتمامات دعوته فقال لأمته:

«لو لو يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم، حتى يملك رجلٌ من أهل بيتي، تجري الملاحم على يديه، ويظهر الإسلام، والله يُخف الميعاد»^(٢٢) .

وتطلع بثاقب بصيرته مرّة، فنفذ الى ما يكون عليه أمر الأجيال المتعاقبة فتتقّس الصُّعداء وقال(صلى الله عليه وآله) :

«الى الله أشكو المكذّبين لي في أمره، والجاحدين لقولي في شأنه، والمُضِلّين لأمتي عن طريقه! يُبايع بين الرُّكن والمقام - بجانب الكعبة أعزّها الله تعالى - يفتح فتوحاً فلا يبقى على وجه الأرض إلا من يقول: لا إله إلا الله^(٢٣) .

(٢٠) الإمام المهدي: ٣٣٣، البرهان: ٧٥، إلزام الناصب: ٢٢٧.

(٢١) منتخب الأثر: ١٤١ و ٢١٥ عن الصادق(عليه السلام)، وعيون أخبار الرضا: ٦٥/٢ بلفظ آخر، بشارة الإسلام: ٢٨٤، نور الأبصار: ١٧١ و ٢٣١، كشف الغمة: ٢٦١/٣ و ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٢٦٦ قريب منه، الصواعق المحرقة: ٩٨، المحجة البيضاء: ٣٣٥/٤، المهدي: ٤٨ و ١١٤ و ١١٥، ينابيع المودة: ٨٦/٣ و ١٦٤.

(٢٢) بشارة الإسلام: ٥٩ و ٣٥ مع زيادة، وكذلك في ص ٢٨٦، الحاوي للفتاوي: ١٣٣/٢، إلزام الناصب: ٢٥١ و ٢٥٢، اسعاف الراغبين: ١٣٣، ينابيع المودة: ١٠٩/٣ و ١٦٦ بتفصيل، ومثله في المهدي: ٢٣٠، كشف الغمة: ٢٦٤/٣ بلفظ قريب، ومثله في البيان: ٩٠.

(٢٣) إعلام الوري: ٤٠٠ نصفه الأول، منتخب الأثر: ١٥٨ نصف الأخير.

ونختم بيان هويّته الكريمة على لسان جدّه (صلى الله عليه وآله) بقوله:
«يكون لهذه الأمة اثنا عشر خليفة»^(٢٤).

وقوله (صلى الله عليه وآله) :

«لا يزال هذا الدين عزيزاً الى اثني عشر خليفة كلّهم من قريش»^(٢٥).
وقوله:

«لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان»^(٢٦).

وقوله (صلى الله عليه وآله) : «بعدي اثنا عشر إماماً، تسعة من صُلْب الحسين، أمناء معصومون، ومنا مهديّ هذه الأمة، ألا إنّ أهل بيتي وعترتي من لحمي ودمي، ما بال قوم يؤذونني فيهم؟ لا أنالهم الله شفاعتي»^(٢٧).

«من أنكر خروج المهديّ فقد كفر بما أنزل على محمد»^(٢٨).
«من أنكر القائم من ولدي أثناء غيبته، مات ميتة جاهلية»^(٢٩).

ثالثاً: نسب الإمام المهدي (عليه السلام)

نعرض فيما يلي عدد من الروايات التي تثبت نسب الإمام وبالتالي تتأكد ولادته من خلال نسبه من كونه ابن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) :

١ - المهدي من ولد النبي (صلى الله عليه وآله)

عن حذيفة، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«المهدي رجل من ولدي وجهه كالقوكب الدرّي»^(٣٠).

عن عبدالله بن عمر أنّه قال:

«يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمه كاسمي وكنيته ككنيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً»^(٣١).

(٢٤) مسند أحمد ج ٥ ص ١٠٦، الإمام المهدي: ١٥.

(٢٥) الحاوي للفتاوي: ١٦٥/٢، الإمام المهدي: ١٨، صحيح البخاري: ١٨٥/٤، الملاحم والفتن: ١٣٢، صحيح مسلم: ج ٢ ص ١٩١، مسند أحمد: ج ٥ ص ١٠٦.

(٢٦) صحيح البخاري: ٦٢/٩، ذخائر العقبى: ١٢.

(٢٧) منتخب الأثر: ٦٥، الإمام المهدي: ٣٠.

(٢٨) ينابيع المودة: ١٠٨/٣، ١٦٢، منتخب الأثر: ١٤٩، إلزام الناصب: ٥٩، الإمام المهدي: ٢٩٩ نقلاً عن غاية المرام: ٦٦٢.

(٢٩) منتخب الأثر: ٤٩٢ وفيها: من أنكر القائم من ولدي فقد أنكرني، وفي الاختصاص ص ٢٦٨: مَنْ مات وليس له إمام يسمع له ويُطيع، مات ميتة جاهلية، ومثله في بحار الأنوار: ٢٠/٧.

(٣٠) كنز العمال: ١٨٦/٧، اسعاف الراغبين: ١٢٤، عقد الدرر، الحديث ٤٦.

عن علي(عليه السلام) أن النبي(صلى الله عليه وآله) قال:
«ليخرجن رجلاً من ولدي عند اقتراب الساعة...»^(٣٢).

٢ - المهدي من ولد الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)

عن ابن عباس قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله):

«إن علي بن أبي طالب إمام أمتي وخليفتي عليها من بعدي ومن ولده القائم المنتظر...»^(٣٣).

عن ابن عمر: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في نفر من المهاجرين والأنصار بعد أن أخذ العباس بيد وعلياً بيد وقال:

«سيخرج من صلب هذا فتى يملأ الأرض جوراً وظلماً، وسيخرج من هذا - أي الإمام علي(عليه السلام) - فتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً...»^(٣٤)

٣ - الإمام المهدي(عليه السلام) من ولد فاطمة(عليها السلام)

عن أم سلمة قالت:

سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله): «المهدي من عترتي، من ولد فاطمة»^(٣٥).

٤ - الإمام المهدي(عليه السلام) من ولد الحسين(عليه السلام)

عن حذيفة قال: خطب رسول الله(صلى الله عليه وآله) فذكر لنا ما هو كائن، ثم قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من ولدي اسمه اسمي، فقال سلمان: يا رسول الله من أي ولدك هو؟ قال: من ولد هذا. فضرب بيده على الحسين»^(٣٦).

عن موسى بن جعفر عن أبيه عن جدّه أنه قال:

«دخل الحسين بن علي بن أبي طالب(عليهما السلام) وعنده جلساؤه. فقال: هذا سيدكم سماه

رسول الله(صلى الله عليه وآله) سيّداً وليخرجن من صلبه شبيهي شبهه في الخلق والخلق يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، قيل له متى ذلك يا أمير المؤمنين؟

فقال: هيهات، إذا خرجتم عن دينكم كما تخرج المرأة عن دركها لبعولها»^(٣٧).

عن عبدالله بن عمر أن النبي قال:

«يخرج من ولد الحسين من المشرق رجل لو استقبلته الجبال هدمها واتخذها طريقاً»^(٣٨).

(٣١) البيان للكنجي، الباب ١٣ ح ٤٢.

(٣٢) كنز العمال: ٢٦١/٧.

(٣٣) فرائد السمطين: ٧٢٢/٢.

(٣٤) مجمع الفوائد ومنبع الفرائد: ٣١٨/٧، الفتاوى الحديثة، لابن حجر الهيتمي: ٢٧.

(٣٥) البيان للكنجي: ٣١١، سنن أبي داود: ٤٢٢/٢، ينابيع المودة: ٤٣٢، أرجح المطالب: ٣٨٤، مشارق الأنوار: ١٠٣.

(٣٦) فرائد السمطين ج ٢، أبونعيم في الأربعين حديث حول المهدي، الحديث ٧٨.

(٣٧) كنز العمال: ١٠٤/٧، ينابيع المودة: ٤٣٢، ولفظه في عقد الدرر وقال: رواه أبو داود والترمذي في جامعه، والنسائي في سننه والكل رووه عن ابن إسحاق.

قال أبو عمارة اليهودي لرسول الله (صلى الله عليه وآله) أخبرني عن وصيك من هو؟ فما من نبي إلا وله وصيٌّ وإنّ نبينا موسى بن عمران أوصى الى يوشع بن نون فقال النبي: «إنّ وصييّ علي بن أبي طالب وبعده سبطاي الحسن والحسين تتلوهُ تسعة أئمة من صلب الحسين»^(٣٩).

٥ - الإمام المهدي من ولد الإمام السجاد (عليه السلام)

قال أبو عمارة، يا محمد فسمهم لي، قال:

«إذا مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد - هو الخامس الملقب بالباقر (عليه السلام) الى آخر الحديث...»^(٤٠).

٦ - المهدي من ولد الإمام الباقر (عليه السلام)

عن زيد بن علي الشهيد قال: كتبت عند أبي علي بن الحسين إذ دخل عليه جابر بن عبدالله الأنصاري، فبينما هو يحدثه إذ خرج أخي الباقر من بعض الحجر، فأشخص جابر ببصره نحوه ثم قام إليه فقال: يا غلام، أقبل، فأقبل، ثم قال: أدبر، فأدبر، فقال: شمائل كشمائيل رسول الله ٩، ما اسمك يا غلام، قال: محمد، قال: ابن من؟ قال: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قال: إذا أنت الباقر، قال: فانكبت عليه وقبّل رأسه ويديه، ثم قال: يا محمد، إنّ رسول الله، يقرئك السلام قال: على رسول الله أفضل السلام وعليك يا جابر، بما بلغت السلام، ثم عاد الى مصلاه، فأقبل يحدث أبي ويقول: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لي يوماً: يا جابر، إذا أدركت ولدي الباقر فاقرنه مني السلام فإنه سميّ وأشبه الناس بي علمه علمي وحكمه حكمي سبعة من ولده أمناء معصومون أئمة أبرار، والسابع مهديهم، الذي يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، ثم بكى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقرأ: (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة

وكانوا لنا عابدين)^(٤١).

٧ - المهدي من ولد الإمام الصادق (عليه السلام)

في إكمال الدين وإتمام النعمة، أخرج بسنده عن صفوان بن مهران عن الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام) أنه قال: «من أقرّ بجميع الأئمة، وجدد المهدي كان كمن أقرّ بجميع الأنبياء وجدد محمداً.

فقليل له: يابن رسول الله من المهدي من ولدك؟ قال: الخامس من ولد السابع يغيب عنكم شخصه، ولا يحل لكم تسميته».

(٣٨) عقد الدرر، الحديث: ١٦٧ من الباب ٥ نقلاً عن معجم الطبراني.

(٣٩) الاحتجاج: ١/٢٢٤.

(٤٠) ينابيع المودة: ٤٤٠.

(٤١) الأنبياء: ٧٣.

روي عن ابن الخشاب أنه أخرج في كتابه مواليد أهل البيت (عليهم السلام) من ولد الإمام جعفر بن محمد (عليه السلام) (٤٢) .

بسنده عن أبي القاسم الطاهر بن هارون بن موسى الكاظم عن أبيه عن جدّه قال: قال سيدي جعفر بن محمد: «الخلف الصالح من ولدي وهو المهدي، اسمه محمد، وكنيته أبو القاسم، يخرج في آخر الزمان، يقال لأمه نرجس، وعلى رأسه غمامة تظله عن الشمس تدور معه حيثما دار، تنادي بصوت فصيح هذا المهدي فاتبعوه».

٨ - المهدي من ولد الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)

أخرج بسنده عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) حديثاً مفصلاً وفيه أنه (عليه السلام) قال: «يظهر صاحبنا وهو من صلب هذا - وأوماً بيده إلى الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) - فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وتصفو له الدنيا».

٩ - الإمام المهدي من ولد الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)

عن الحسن بن خالد عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) أنه قال: «لا دين لمن لا ورع له، ولا إيمان لمن لا تقية له، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم، أي أعملكم بالتقية، قيل: إلى متى يا ابن رسول الله قال: إلى يوم الوقت المعلوم، هو يوم خروج قائمنا فليس منا، فقليل له: يا ابن رسول الله ومن القائم منكم أهل البيت، قال: الرابع من ولدي ابن سيد الإمام يظهر الله به الأرض من كل جور ويقدّسها من كل ظلم وهو الذي يشك الناس في ولادته وهو صاحب الغيبة قبل خروجه...» (٤٣) .

١٠ - الإمام المهدي من ولد الإمام الجواد (عليه السلام)

وفي كتاب (كفاية الأثر)، أخرج بسنده عن عبد العظيم بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) قال: دخلت على سيدي محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) وأنا أريد أن أسأله عن القائم أهو المهدي أو غيره، فابتدأني هو، فقال لي: يا أبا القاسم إن القائم منّا

هو المهدي الذي يجب أن ينتظر في غيبته ويطاع في ظهوره، وهو الثالث، من ولدي، والذي بعث محمداً بالنبوة وخصنا بالإمامة، أنه لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وأن الله تبارك وتعالى ليصلح أمره في ليلة، كما أصلح الله أمر كليمه موسى إذ ذهب ليقبس لأهله ناراً فرجع وهو رسول نبي مرسل، ثم قال (عليه السلام): أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرّج.

(٤٢) ينابيع المودة: ٤٩١ ط اسلامبول سنة ١٣٠١ هـ .

(٤٣) فرائد السمطين آخر الجزء الثاني، كشف الغمة: ٣٣١/٣ .

وفي كتاب (كفاية الأثر) أيضاً. أخرج بسنده عن الصقر بن أبي دلف. قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الرضا (عليهما السلام)، يقول: الإمام بعدي ابني علي، أمره أمري، وقوله قولي، وطاعته طاعتي. ثم سكت فقلت له: يا بن رسول الله فمن الإمام بعد علي؟ قال: ابنه الحسن، قلت: يا بن رسول الله فمن الإمام بعد الحسن؟ فبكى (عليه السلام) بكاءً شديداً ثم قال: إن من بعد الحسن، ابنه القائم بالحق، المنتظر، فقلت له: يا بن رسول الله، ولم سمي القائم؟ قال: لأنه يقوم بعد موت ذكره وارتداد أكثر القائلين بإمامته، فقلت له: ولم سمي المنتظر؟ قال: إن له غيبة يكثر أيامها، ويطول أمدها، فينتظر خروجه المخلصون، وينكره المرتابون، ويستهزئ به الجاحدون، ويكذب فيها الوقاتون، ويهلك فيها المبطلون، وينجو فيها المسلمون^(٤٤).

١١ - الإمام المهدي من ولد الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام)

وفي (كفاية الأثر)، أخرج بسنده عن الصقر بن أبي دلف، قال: سمعت علي بن محمد بن علي الرضا يقول: الإمام بعدي الحسن ابني وبعده ابنه القائم، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

وفي كتاب إعلام الوري، أخرج بسنده عن المفضل بن عمر، قال: دخلت على سيدي جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) فقلت: ياسيدي لو عهدت إلينا من الخلف من بعدك؟ فقال: يا مفضل، الإمام بعدي موسى، والخلف المنتظر م ح م د ابن الحسن بن علي بن محمد بن علي ابن موسى (عليهم السلام).

في كفاية الأثر بسنده عن مسلم بن مسعدة، قال: كنت عند الصادق (عليه السلام) إذ أتاه شيخ كبير قد انحنى متكئاً على عصاه، فسلم، فردّ أبو عبدالله الجواب ثم قال: يا بن رسول الله، ناولني يدك أقبّلها فأعطاه يده فقبلها ثم بكى فقال أبو عبدالله: ما يبكيك يا شيخ؟ قال: جعلت فداك يا بن رسول الله أقمت على قائمكم منذ مائة سنة أقول هذا الشهر وهذه السنة، وقد كبرت سني وودق عظمي، واقترب أجلي، وأرى فيكم مالا أحبّ، أراكم مقتلين مشرّدين، وأرى عدوكم يطيطون بالأجنحة. فكيف لا أبكي؟ فدمعت عينا أبي عبدالله (عليه السلام) ثم قال: يا شيخ، إن أبقاك الله حتى ترى قائمنا كنت معنا في السنام الأعلى، وإن حلت بك المنية جنت يوم القيامة مع ثقل محمد (صلى الله عليه وآله)، ونحن ثقله وقد قال: اني مخلف فيكم الثقلين فتمسكوا بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فقال الشيخ: لا أبالي بعدما سمعت هذا الخبر، ثم قال: يا شيخ اعلم أن قائمنا يخرج من صلب الحسن العسكري، والحسن العسكري يخرج من صلب علي الهادي وعلي يخرج من صلب محمد الجواد ومحمد الجواد يخرج من صلب علي الرضا وعلي الرضا يخرج من صلب ابني هذا - وأشار إلى موسى (عليه السلام) - وهذا خرج من صلب، ونحن اثنا عشر كلهم معصومون مطهرون: يا شيخ والله لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد

(٤٤) أخرج الحديث الشريف المذكور في كتاب إعلام الوري. وفي كتاب اكمال الدين وإتمام النعمة بسنديهما عن أبي جعفر (عليه السلام).

لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج قانمنا أهل البيت، إلا أن شيعتنا يقعون في فتنة وحيرة في غيبته، هناك يثبت الله على هداة المخلصين، اللهم أعنهم على ذلك. انتهى الحديث.

١٢ - الإمام المهدي من ولد الحسن العسكري (عليه السلام)

في كفاية الأثر وغيره. أخرج بسنده عن محمد بن عثمان العمري يقول: سمعت أبي يقول: سئل أبو محمد الحسن بن علي العسكري وأنا عنده عن الخبر الذي روي عن آبائه (عليهم السلام): ألا إن الأرض، لا تخلو من حجة الله على خلقه الى يوم القيامة، وإن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية فقال: إن هذا حق كما إن النهار حق، ف قيل له: يا بن رسول الله، فمن الحجة والإمام بعدك؟ قال: ابني محمد هو الإمام، والحجة بعدي، من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية. أما إن له غيبة يحار فيها الجاهلون، ويهلك فيها المبطلون، ويكذب فيها الوقتون، ثم يخرج، فكأنني أنظر الى الأعلام البيض تخفق فوقه رأسه، بنجف الكوفة.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام)، مخاطباً ولده الحسين (عليه السلام) مُقسماً:

«التاسع من ولدك يا حسين هو القائم بالحق، والمُظهر للدين، والباسط للعدل، إي والذي بعث محمدًا (صلى الله عليه وآله) بالنبوة، واصطفاه على جميع البرية...»^(٤٥).

وقال معرفاً به:

«هو في الذروة من قریش، والشرف من هاشم، والبقية من إبراهيم»^(٤٦).

وأشار إليه بقوله:

«ومن بعد الحسين تسعة من صلبه، خلفاء الله في أرضه، وحججه على عباده، وأمناءه على وحيه، وهم أئمة المسلمين، وقادة المؤمنين، وسادة المتقين، وتاسعهم القائم»^(٤٧).
ومن كلامه الذي يصف فيه عظمتة وعراقة أصله:

«صاحب هذا الأمر من ولدي... هو من ذروة طود العرب، وبحر مغيضها إذا وردت، ومجفوا أهلها إذا أتت، ومعدن صفوتها إذا اكتدرت، لا يجبن إذا المنايا هلعت، ولا يخور إذا المؤمنون اكتنفت، ولا ينكل إذا الكُماة اضطرعت، مشمر مغلوب، ظفر ضرغام، حصد مدش، ذكر سيف من سيوف الله، رأس قثم، نشق رأسه في بادخ السوداء، وغارز مجده في أكرم المحتد. أوسعكم كهفًا، وأكثركم علمًا، وأرحمكم رحماً. اللهم فاجعل بيتته خروجاً من الغمة، واجمع به شمل الأمة... فلا يصرفنك عنه صارف عارض ينوص الى الفتنة كل مناص، إذ قال فشرُّ قاتل، وإن سكت فنور عابر!»^(٤٨).

(٤٥) بشارة الإسلام: ٥٢، الإمام المهدي: ٧٩، إعلام الوری: ٤٠٠، المحجة البيضاء: ٣٣٧/٤ عن الرضا (عليه السلام)، منتخب الأثر: ٤٦٧ عن الصادق (عليه السلام) نصفه الأول.

(٤٦) إلزام الناصب: ١١.

(٤٧) إعلام الوری: ٣٧٨.

(٤٨) الغيبة للنعماني: ١١٤، بشارة الإسلام: ٥٤، بحار الأنوار: ١١٥/٥١، منتخب الأثر: ٣٠٩.

قال الإمام الحسين (عليه السلام) :

«التاسع من ولدي هو القائم بالحق، يُحيي الله به الأرض بعد موتها، ويظهر به الدين، يُحق الحق ولو كره المشركون»^(٤٩).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام):

«يكون تسعة أئمة بعد الحسين بن علي، تاسعهم قائمهم»^(٥٠).

وخلاصة ما تقدّم أن السرد الروائي الذي اخترناه ضمن طوائفه المذكورة التي تحدثت عن هويته مرّة والأخرى التي تثبت طول عمره مرة ثانية. والأخيرة التي أكدت نسبه، وعليه فإنّ عملية الجمع بين الروايات يحصل لنا اليقين بأنّ الإمام المهدي مولود وأنه ابن الإمام الحسن العسكري.

الفصل الثاني

الإمام المهدي خاتم الأئمة المعصومين (عليهم السلام)

من الأدلة التي تؤدي الى اليقين بولادة الإمام المهدي (عليه السلام) وهي موضع اتفاق بين الفريقين الإمامية وغيرهم الأحاديث الكثيرة المسلّمة عندهم وإن لم ترد بخصوص الإمام ولا بعنوانه ولكنها تنصب بنفس اتجاه ولادة الإمام منها:

حديث الثقلين

الذي يستفاد من هذا الحديث المتواتر عند الفريقين والذي ورد بألفاظ مختلفة تبعاً للمناسبة التي يذكر فيها النبي هذا الحديث.

قال (صلى الله عليه وآله) :

«إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، أحدهما أكبر من الآخر، ولن يفترقا حتى يرثي عليّ الحوض»^(٥١).

(٤٩) إعلام الوری: ٣٨٤.

(٥٠) الغيبة للنعماني: ٧ و ٤٦، الإرشاد: ٣٢٨.

(٥١) هذا الحديث أخرجه أكابر علماء المذاهب قديماً وحديثاً في كتبهم من الصحاح، والسنن، والمسانيد، والتفاسير، والسير، والتواريخ، واللغة، وغيرها. فهذا صحيح مسلم في الجزء السابع، ص ٢٢، سنن الترمذي في الجزء الثاني ص ٣٠٧، وسنن الدارمي في الجزء الثاني ص ٤٣٢، ومسند أحمد بن حنبل في الجزء الثالث ص ١٤ و ١٧، وص ٢٦ و ٥٩، وفي الجزء الرابع، ص ٣٦٦ و ٣٧١، وأيضاً في الجزء الخامس ص ١٨٢ و ١٨٩، وخصائص النسائي، ص ٣٠، ومستدرک الحاكم في الجزء الثالث ص ١٠٩ و ١٤٨ و ٥٣٣، والحافظ الكنزي الشافعي في «كفاية الطالب» في الباب الأول ص ١١ في بيان صحة خطبته «بماء

والكتاب يعني الثقل الأكبر الذي فيه الهدى والنور والحبل الممدود من السماء الى الأرض.

والعترة تعني الثقل الأصغر وهم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس... وأحدهم الإمام المهدي (عليه السلام).

وهناك علاقة دائمة ومستمرة لا تقبل التفكيك في قوله: لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض وهذا التصريح يدل على أن الكتاب مع العترة من بداية زمان النبي (صلى الله عليه وآله) الى أن يردا عليه الحوض.

واستمرارية علاقة الكتاب مع العترة يدل بلا شك على ولادة الإمام المهدي وإذا قلنا أن المهدي لم يكن مولوداً وأنه سيولد في المستقبل، فهذا يلزم منه الافتراق بين الكتاب والعترة.

يدعى خُماً»، قال بعد نقل الحديث: «أخرجه مسلم في صحيحه»، ورواه أبوداود وابن ماجة القزويني في كتابيهما، وأيضاً في الباب الحادي والستين، ص ١٣٠، والطبقات لمحمد بن سعد الزهري البصري في الجزء الرابع ص ٨، والحلية لأبي نعيم الأصبهاني في الجزء الأول، ص ٣٥٥، وأسد الغابة لابن الأثير الجزري في الجزء الثاني، ص ١٢ وفي الجزء الثالث، ص ١٤٧، والعقد الفريد لابن عبد ربّه القرطبي في الجزء في خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) في حجة الوداع، ص ٣٤٦ و ١٥٨، وتذكرة الخواص في الباب الثاني عشر، ص ٣٣٢ لابن الجوزي، قال بعد نقل قول جده: «وقد أخرجه أبوداود في سننه، والترمذي أيضاً، وذكره رزين في الجمع بين الصحاح، والعجب كيف خفي عن جدي ما روى مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم... الخ».

وإنسان العيون لنور الدين الحلي الشافعي في الجزء الثالث، ص ٣٠٨، وذخائر العقبى لأحمد بن عبدالله الطبري، ص ١٦، والسراج المنير للعزبي الشافعي في شرح الجامع الصغير للسيوطي في الجزء الأول، ص ٣٢١، وفي هامشه أيضاً للشيخ محمد الحنفي، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي، ص ٢٤، ونسيم الرياض لشهاب الدين الخفاجي في الجزء الثالث، ص ٤١٠، وفي هامشه أيضاً شرح الشفا لعلي القاري، ومنتخب كنز العمال لعلي المتقي في هامش المسند للإمام أحمد بن حنبل في الجزء الأول، ص ٩٦ و ١٠١، وفي الجزء الثاني، ص ٣٩٠، وفي الجزء الخامس، ص ٩٥، والكشف والبيان للثعلبي في تفسيره آية «الاعتصام»، وفي تفسير آية «أيها الثقلان»، وتفسير الإمام فخر الدين الرازي في تفسير آية «الاعتصام» في الجزء الثالث، ص ١٨، وتفسير النظام النيسابوري في تفسير آية «الاعتصام» في الجزء الأول، ص ٣٤٩، وتفسير الخازن في تفسير آية «الاعتصام» في الجزء الأول في ص ٢٥٧، وفي الجزء الرابع في تفسير آية المودة، ص ٩٤، وأيضاً في تفسير آية (سنفرغ لكم أيها الثقلان) ص ٢١٢، وابن كثير الدمشقي في تفسير آية «المودة» في الجزء الرابع، ص ١١٣، وفي تفسير آية «التطهير» في الجزء الثالث، ص ٤٨٥، وأيضاً في تاريخه في الجزء الخامس أو السادس في ضمن حديث الغدير. والمواهب العلية لحسين الكاشفي في تفسير آية (سنفرغ لكم أيها الثقلان)، والنهاية لابن الأثير الجزري في الجزء الأول، وأيضاً في الدر المنثور للسيوطي، ص ١٥٥، ولسان العرب لجمال الدين الأفرقي المصري في الجزء السادس في لغة «العترة» وفي الجزء الثالث عشر في لغة: «الثقل» و «الحبل»، والقاموس لمجد الدين الشيرازي في لغة: «الثقل»، وتاج العروس لمرتضى الزبيدي في الجزء السابع في لغة «الثقل»، ومنتهى الأرب لعبدالرحيم الصفي پوري في لغة «الثقل» وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي في الجزء السادس في معنى «العترة» ص ١٣٠، ومدارج النبوة لعبدالحق الدهلوي ص ٥٢٠، والمناقب المرتضوية لمحمد صالح الترمذي الكشفي، ص ٩٦ و ٩٧ و ١٠٠ و ٤٧٢، ومفتاح كنوز السنّة، ص ٢ و ٤٤٨، ومصباح السنّة للإمام البغوي الشافعي في الجزء الثاني، ص ٢٠٥ و ٢٠٦، وابن حجر في الصواعق، ص ٧٥ و ٨٧ و ٩٠ و ٩٩ و ١٣٦، وإسعاف الراغبين في هامش نور الأبصار للشبلنجي ص ١١٠، ونبابيع المودة لسليمان بن إبراهيم البلخي الحنفي، ص ١٨ و ٢٥ و ٣٠ و ٣٢ و ٣٤ و ٩٥ و ١١٥ و ١٢٦ و ١٩٩ و ٢٣٠ و ٢٣٨ و ٣٠١.

إذاً يمكن القول بأن الحديث يدل على ولادة الإمام ولكن ليس بالشكل المباشر وإنّما بالدلالة الالتزامية.

والحديث الثاني الذي يمكن الاستدلال به لاثبات ولادة الإمام المهدي حديث الاثني عشر خليفة الذي تنقله مصادر الفريقين من طرق متعددة ولا يمكن تطبيقه على الأئمة المعصومين (عليهم السلام) والذي يكون آخرهم المهدي (عليه السلام) .

أما محاولة تطبيقه على الخلفاء الأربعة واثنين أو ثلاثة من بني أمية أو اثنين أو ثلاثة من بني العباس غير معقول بل ويخالف الواقع وإليك نصّ الحديث:

عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: «يكون اثنا عشر أميراً» فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنّه قال: كلهم من قريش^(٥٢).

عن عامر بن سعد عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) - يوم الجمعة عشية رجم الأسلمي - يقول: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»... الحديث^(٥٣)

روى بسندين عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يكون من بعدي اثنا عشر أميراً» قال: ثم تكلم بشيء لم أفهمه فسألت الذي يليني فقال: قال: كلهم من قريش^(٥٤).

عن مسروق قال: كنّا جلوساً ليلة عند عبدالله يقرئنا القرآن فسأله رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن هل سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبدالله: ما سألتني عن هذا أحد منذ قدمت العراق قبلك، قال: سأله فقال: «اثنا عشر عدة نقباء بني إسرائيل»^(٥٥).

عن جابر بن سمرة فقال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لا يزال الدين قائماً حتى يكون اثنا عشرة خليفة من قريش...» الحديث^(٥٦).

روى بسنده عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش...» الحديث^(٥٧).

روى بسنده عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: «يكون لهذه الأمة اثنا عشر خليفة»^(٥٨).

(٥٢) مسند أحمد بن حنبل: ٩٠/٥ حديث جابر بن سمرة ح ٢٠٣٥٩ و ٢٠٣٦٦.

(٥٣) مسند أحمد بن حنبل: ٨٩/٥ ح ٢٠٣١٩.

(٥٤) سنن الترمذي: ٣٥/٢، كتاب الفتن، الباب ٤٦، ما جاء في الخلفاء ح ٢٢٢٣.

(٥٥) مستدرک الصحيحين: ٥٠١/٤، كتاب الفتن والملاحم، ذكر ثلاث خلال لا بد منها لأمرء قريش.

(٥٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٨٦/٥.

(٥٧) مسند أحمد بن حنبل: ٩٢/٥ ح ٢٠٣٤٧.

(٥٨) مسند أحمد بن حنبل: ١٠٦/١، حديث جابر بن سمرة ح ٢٠٥٠٨.

ولفظه: يكون لهذه الأمة اثنا عشر خليفة قيماً لا يضرهم من خذلهم، كلهم من قريش، قال أخرجه الطبراني عن جابر بن سمرة^(٥٩).
وإذا ثبت أن حديث اثنا عشر خليفة ينطبق على الأئمة المعصومين الإثنا عشر ابتداءً بالإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وانتهاءً بالإمام محمد المهدي (عليه السلام) يثبت من كون الأخير قد ولد فعلاً وأنه حيٌّ يرزق.

الفصل الثالث

كيفية التحقيق العلمي في ولادته (عليه السلام)

إنّ التشكيك بولادة الإمام المهدي سلام الله عليه، بمعنى أن يقال: نحن نسلم بهذه الفكرة وأنه سيظهر شخص، لكن هذا الشخص لا يلزم أن يكون هو الإمام المهدي، ولا يلزم أن يكون مولوداً الآن، ولا يلزم أن يكون قد غاب، ولعله يولد في المستقبل والآن غير موجود، ولا توجد غيبة فكيف نتأكد أن نشأت ولادة الإمام المهدي الآن وأنه قد تحققت ولادته؟ إنّ المهم هو إثبات هذا الموضوع، ونحاول أن نشأت ولادة الإمام المهدي من خلال التواتر، كما يمكن أيضاً أن يكون عن طريق حساب الاحتمال.

التواتر يعني: أن يخبر بالقضية مجموعة كبيرة من المخبرين بحيث لا نحتمل اجتماعهم واتفاقهم وتواطئهم على الكذب، فإذا كان خبر من الأخبار جاء به ثلاثمائة شخص أو مائتا شخص أخبرونا به، وكلّ واحد نفترضه من مكان غير مكان الآخر، في مثل هذه الحالة لا نحتمل تواطؤ الجميع واتفاقهم على الكذب، مثل هذا الخبر يقال له الخبر المتواتر.

هذا طريق لتحصيل العلم بالقضية والمسألة التاريخية.

نفترض أن الخبر ليس متواتراً، كما إذا أخبر به واحد أو إثنان أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة من دون تواتر، ولكن انضمّت الى ذلك قرائن من هنا وهناك، يحصل العلم بسببها على مستوى حساب الاحتمال.

(٥٩) كنز العمال: ٢٠١/٦، الباب الرابع وذكرهم مجتمعة ومتفرقة، قريش، الاكمال،

فلنفترض أنّ هناك شخص مصاب بمرض عضال، وجاء شخص وأخبر بأنّ فلاناً قد شفي من مرضه، يحصل احتمال أنّه شفي بدرجة ثلاثين بالمائة مثلاً، لكن إذا انضمت الى ذلك قرائن فسوف ترتفع القيمة الاحتمالية من ثلاثين الى أربعين والى خمسين والى أكثر، افترض أننا شاهدناه لا يستعمل الدواء بعد ذلك وكان حينما يحضر في مكان يستعمل الدواء، فهذا يقوّي احتمال الشفاء، وإذا كانت القيمة الاحتمالية للشفاء بدرجة ثلاثين الآن ترتفع وتصير بدرجة أربعين مثلاً، وأيضاً شاهدناه يجلس في المجلس ضاحكاً مستبشراً، هذه الظاهرة أيضاً تصعّد من القيمة الاحتمالية لهذا الخبر، وهكذا حينما نضمّ قرائن من هذا القبيل، فسوف ترتفع القيمة الاحتمالية للخبر الى أن تصل الى درجة مائة بالمائة.

هذا الخبر هو في الحقيقة ليس خبراً متواتراً، لكن لانضمام القرائن حصل العلم.

فهنا حصول العلم يحصل بحساب الاحتمال، يعني بتقوّي القيمة الاحتمالية بسبب انضمام القرائن.

إذن، فحصول العلم بأي قضية تاريخيّة يتمّ من خلال تواتر أو حساب الاحتمال عن طريق جمع القرائن.

أما القضية الثانية، لا يلزم في الخبر المتواتر أن يكون المخبر من الثقات، فإن اشتراط الوثاقة في المخبر يلزم في الخبر غير المتواتر، كما إذا جاءنا شخص واحد أو اثنان أو ثلاثة وأخبرونا بقضية، هنا يشترط أن يكون المخبر - لأجل أن يكون هذا الخبر حجة - عادلاً، أما لو كانت القضية أخبر بها مائة أو مائتان أو ثلاثمائة، يعني العدد كان يشكّل التواتر فليس من الضروري عدالة المخبر؟ فالعدالة والوثاقة هي شرط في الخبر غير المتواتر.

وأرجو أن لا يحصل خلط في هذه القضية بين الخبر المتواتر وبين الخبر غير المتواتر، إذ البعض يتصور أن مسألة الوثاقة ومسألة عدالة الراوي يلزم تطبيقها حتى في الخبر المتواتر، هذا غير صحيح، بل الذي نشترط فيه العدالة والوثاقة هو الخبر غير المتواتر.

لماذا لا نشترط في الخبر المتواتر العدالة والوثاقة؟

النكته هي: إنّ الخبر المتواتر حسب الفرض يفيد العلم، لكثرة المخبرين، وبعد ما أفاد العلم لا معنى لاشتراط الوثاقة والعدالة، إذ المفروض أنّ العلم حصل، وليس بعد العلم شيء يُقصد، فلا معنى إذن لاشتراط الوثاقة والعدالة في باب الخبر المتواتر، وهذه قضية بديهية وواضحة في سوق العلم.

وعلى أساس هذه القضية ليس من الحق وليس من الصواب أن نأتي الى الروايات الدالة على ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) أو أي قضية ترتبط بالإمام المهدي سلام الله عليه ونقول: هذه الرواية ضعيفة السند، الرواة مجاهيل، هذا مجهول أو ذاك مجهول، هذه الرواية الأولى

إذن نطرحها والرواية الثانية الراوي فيها مجهول إذن نطرحها، والثالثة كذلك، الرابعة هكذا
و...

هذا ليس بصحيح، فإن هذا يكون صحيحاً لو فرض أن الرواية كانت واحدة أو اثنتين أو
ثلاث أو أربع أو خمس أو عشر، أما بعد فرض أن تكون الروايات الدالة على ولادة الإمام
المهدي سلام الله عليه قد بلغت حدّ التواتر، فلا معنى أن نقول هذه الرواية والثالثة هكذا، فإن
هذه الطريقة وجيهة في الخبر غير المتواتر، أما في الخبر المتواتر فلا معنى لها.

أما القضية الثالثة، إذا فرض أن لدينا مجموعة من الأخبار تختلف في الخصوصيات
والتفاصيل، لكن الجميع يشترك في مدلول واحد من زاوية، كما لو فرضنا أنه جاءنا
مجموعة كبيرة من الأشخاص يخبرونا عن تماثل ذلك الشخص المريض للشفاء، لكن
الشخص الأول جاء وأخبر بالشفاء في الساعة الواحدة، والثاني حينما جاء أخبرنا بالشفاء
أيضاً لكن في الساعة الثانية، والثالث حينما جاء أخبر بشفاؤه لكن في الساعة الثالثة، فاختلّفوا
في رقم الساعة، لكن الكلّ متفق على أنّه قد شفي، والخامس أو السادس جاء وأخبر بالشفاء
لكن بهذا الدواء، والآخر قال بذلك الدواء، فكان الاختلاف بمثل هذا الشكل، أي: اختلاف في
الخصوصيات، لكن الكلّ متفق على أنه قد شفي .

في مثل هذه الحالة هل يثبت الشفاء؟

نعم أصل الشفاء يثبت بنحو العلم.

والنكته في ذلك، أن المخبر الأوّل في الحقيقة يخبر بخبرين لا بخبر واحد: الخبر الأوّل
الذي يخبر به أنّه شفي، والخبر الثاني أنّه شفي في الساعة الأولى، الثاني حينما يخبر أيضاً
يخبر بأنّه شفي، والثالث حينما يخبر أيضاً يخبر بأنّه شفي، إذن هم متفقون في الإخبار الأوّل
أنّه شفي، لكن يختلفون في الإخبار الثاني، إذن في الإخبار الأوّل التواتر موجود والاتفاق
بين الجميع موجود.

ومن هنا نخرج بهذه النتيجة: إنّ الأخبار الكثيرة إذا اتفقت من زاوية على شيء معيّن
فالعلم يحصل بذلك الشيء، وإن اختلفت هذه الأخبار من الجوانب الأخرى في التفاصيل.

وبعد هذا فليس من حقنا أن نناقش في روايات الإمام المهدي (عليه السلام) ونقول: هذه مختلفة
في التفاصيل، واحدة تقول بأنّ أم الإمام المهدي اسمها نرجس والثانية تقول أن أم الإمام
اسمها سوسن والثالثة تقول اسمها شيء ثالث، أو أن واحدة تقول وُلد في هذه الليلة والثانية
تقول وُلد في تلك الليلة أو واحدة تقول وُلد في هذه السنة والأخرى تقول في السنة الأخرى،
فعلى هذا الأساس لا يمكن الأخذ بهذه الروايات، وليست متواترة وليست مقبولة، لأنها

تختلف في التفاصيل، ولا تنفع في إثبات التواتر وفي تحصيل العلم بولادة الإمام سلام الله عليه، لأنها مختلفة ومتضاربة فيما بينها حيث اختلفت بهذا الشكل.

إنه باطل، لأن المفروض أن كل هذه الأخبار متفقة في جانب واحد، وهو الإخبار بولادة الإمام سلام الله عليه، ولئن اختلفت فهي مختلفة في تفاصيل وخصوصيات أخرى، لكن في أصل ولادة الإمام هي متفقة، فالعلم يحصل والتواتر يثبت من هذه الناحية.

أما القضية الرابعة، وهي ليس من حق أي شخص أن يجتهد في مقابل النص، فإذا كان عندنا نص صريح الدلالة وتام السند من كلتا الجهتين، فلا يحق لأحد أن يأتي ويقول أنا اجتهد في هذه المسألة.

فإنه عز وجل يقول: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ)^(٦٠)، وهذه الآية بوضوح تدل على الطلب، غاية ما في الأمر ليست صريحة في الطلب الوجوبي، لكن في أصل - طلب الصلاة وطلب الزكاة - دلالتها صريحة وسند القرآن لا مناقشة فيه.

فلا يحق لأحد أن يقول: أنا أريد أن اجتهد في هذه المسألة وأقول هي لا تدل على الطلب!! ليس له هذا الحق، وهذا يسمونه اجتهداً في مقابل النص.

نعم إذا كان يجتهد في الدلالة ويقول لا تدل على الوجوب بل تدل على الاستحباب، فهذا جيد، لأن الدلالة ليست صريحة على الوجوب، أما أن يجتهد في الدلالة على أصل الطلب ويقول أنا اجتهد وأقول لا تدل هذه على أصل الطلب في رأيي فهذا لا معنى له، لأن دلالتها على الطلب صريحة والسند أيضاً قطعي.

على ضوء هذا أخرج بهذه النتيجة أيضاً: ليس من حق أحد أن يقول أنا أجتهد في روايات الإمام المهدي، اجتهد كما يجتهد الناس في مجالات أخرى، هذا لا معنى له، لأن الروايات حسب الفرض هي واضحة الدلالة صريحة وتامة غير قابلة للاجتهد، وسندها متواتر، فالاجتهاد هنا إذن لا معنى له أيضاً، فإن للاجتهد مجاًلاً إذا فرض أن الدلالة لم تكن صريحة أو السند لم يكن قطعياً، أما بعد قطعية السند وصراحة الدلالة، فالاجتهاد لا معنى له، فإنه اجتهد في مقابل النص، وهذه قضية واضحة أيضاً^(٦١).

الفصل الرابع

الواقع التاريخي لولادته

أولاً: ظروف الولادة

(٦٠) البقرة: ٤٣.

(٦١) استفدنا هذا الفصل من البحث القيم لسماحة الشيخ محمد باقر الايرواني بعنوان «الإمام المهدي بين التواتر وحساب الاحتمال».

أين ومتى، وكيف ولده من رآه؟
إنّ الواقع التاريخي والأحداث التي تخللت ولادته أو سبقتها أو الروايات التي تحدثت عن ولادته تشكل مفردة يحصل بواسطتها اليقين من أن الإمام(عليه السلام) قد ولد حقاً.
قال الإمام الصادق(عليه السلام): إنه لا يموت منّا ميت حتى يُخلف من بعده من يعمل بعمله ويسير بسيرته ويدعو الى ما دعا إليه(٦٢).

وقال عند ذكر أولى صفات القائم(عليه السلام) وعلاماته:
هو خفي المولد والمنشأ، غير خفي في نفسه(٦٣).
وقد ولد هكذا - معلناً عنه، مستورة ولادته - في سرّ من رأى في العراق، نظيفاً منظفاً، مفروغاً منه، مختوناً - كما هو شأن كل إمام - يتلقى الأرض بمساجده السبعة. وكان ذلك عند بزوغ الفجر من صبيحة يوم الجمعة في النصف من شعبان سنة ٢٥٥ هجرية. وتناولته السيدة حكيمه، عمه أبيه، بنت الإمام الجواد(عليه السلام) وناولته لأبيه، وكان مكتوباً على عضده بالنور: جاء الحق وزهق الباطل! (٦٤).
وقد جاء عن الإمام الرضا(عليه السلام) قوله:

سقط من بطن أمه جاثياً على ركبتيه، رافعاً سبابته نحو السماء، ثم عطس فقال: الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله، عبد ذاكر لله، غير مستكف ولا مستكبر. زعمت الظلمة أن حجة الله داحضة. ولو أدن لنا في الكلام لزال الشك(٦٥).

وكان يومئذ في مدينة قم منجم يهودي مشهور، قصد أحمد ابن إسحاق وكيل أبيه العسكري في قم وصاحبه الجليل وقال له: قد ولد مولود في وقت كذا، فاعمل له ميلاداً وطالعا. فنظر اليهودي في الطالع وعمل عملاً وقال لابن إسحاق: لست أرى النجوم تدلني فيما يوجبه الحساب... لا يكون هذا المولود إلا نبياً أو وصي نبي. وإن النظر يدلني على أنه يملك الدنيا شرقاً وغرباً، وسهلاً وجبلاً، حتى لا يبقى على وجه الأرض أحد إلا دان له وقال بولايته! (٦٦).

فقد ولد المهدي أيها المتقولون، ووافق على ولادته الخاص والعام، وإن كانوا قد اختلفوا نظرياً في بقائه حياً طویل العمر.

(٦٢) الكافي: ١ / ٣٩٧.

(٦٣) الغيبة للنعماني: ٨٨، منتخب الأثر: ٢٨٨ عن الرضا(عليه السلام) ومثله في كشف الغمة: ٣ / ٣١٤.

(٦٤) منير الأحزان ص ٢٩٦، كشف الغمة: ٣ / ٣١٠.

(٦٥) كشف الغمة: ٣ / ٢٨٨، منتخب الأثر: ٣٤١، الغيبة للطوسي: ١٤٧ عن الكاظم(عليه السلام) وكذلك في بحار الأنوار: ٤ / ٥١،

إعلام الوري: ٣٩٥، إلزام الناصب: ١٠٠، المحجة البيضاء: ٤ / ٢٤٥.

(٦٦) بحار الأنوار: ٢٣ / ٥١.

نعم، ولد باعتراف كتب التاريخ حتى المزورة للأخبار... وقد حصل ذلك في بيت أبيه العسكري(عليه السلام) المائل للعيان حتى اليوم في سامراء، مزاراً مقدساً ومنازة مشعة. ولذلك قال بإمامته كل القائلين بإمامة أبيه بعد أن رأوا آياته ومعجزاته كما سترى... فمن أنكره من بعد ما علمه فقد أنكر رسول الله(صلى الله عليه وآله) ومن عرفه وآمن به وصدق ولم يكثرث بغير ذلك من الأقوال المضلة عن الحق.

ولو لم يكن لأبيه ولد - كما شوّش الأعداء وهوّشوا - فلماذا كبس جيش الخليفة دار أبيه مراراً، وفتشها بكل دقة، مرة ليقبض عليه ويقتله وأخرى ليقبض على أمه الحبلى وليحبسها حتى تضع في غياهب السجون فيذبح وليدها متى وضعته، بعد أن أدخلت القوابل في ذهن الخليفة أن أم المهدي لا تزال حبلى!! (ومكروا ومكر الله، والله خير الماكرين)^(٦٧).. فاسأل بذلك الزبيري الذي كان من جلاوزة سلطة الحاكم، والذي كان شديد العداوة للعسكري(عليه السلام) يتمنى لو تسنى له أن يقتله قبل أن يولد له ولد، ليكدّب شيعته في عقيدتهم بأن العسكري(عليه السلام) لا بد أن ينجب إماماً منتظراً يقوّض عروش الظلم، اسأل بذلك ذاك الزبيري الحقود الذي سلط الله عليه من قتله قبل أن تتم مكائده، فقال العسكري(عليه السلام) حين بلغه خبر قتله: هذا جزاء من افتري على الله تبارك وتعالى في أوليائه!! زعم أنه يقتلني وليس لي عقب! فكيف رأى قدرة الله عزّ وجل؟»^(٦٨).

أجل، ولد، وولدت نرجس^(٦٩) بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم، التي أمها من ولد الحواريين، تُنسب الى شمعون وصي المسيح(عليه السلام)، سارت مع جيش أبيها متتكرة في زي الخدم مع عدة من وصائفها ليداوين الجرحى في حرب من حروب المسلمين في جنوب شرق أوربا، فصادفتهم طلائع جيش المسلمين بعد هزيمة جيش العدو، فأخذتهن أسيرات وما أحس أحد بأنها بنت قيصر.

وعندما عرضت للبيع مع السبايا غيرت اسمها وقالت: اسمي نرجس، لأنه اسم تتسمى به الجواري، وكان والدها قد علّمها لغات مختلفة من جملتها اللغة العربية التي استمرّ لسانها عليها وألفها واستقام لها جيداً... وكان ذلك في أيام الإمام الهادي(عليه السلام) فكلف أحد

(٦٧) آل عمران: ٥٤.

(٦٨) بحار الأنوار: ٤/٥١، اعلام الوري: ٤١٤، الإرشاد: ٣٢٩.

(٦٩) ذكر المؤرخون لها أسماء كثيرة، هي: مليكة، سوسن، حكيمة، خمط، مريم، ريحانة، سبيكة، صقيل، ونرجس، راجع: شرح النهج ج ٢ ص ١٧٩، بحار الأنوار: ٦/٥١ - ١٠ و ٣٦١، الإمام المهدي: ٨ و ٣٤١، كشف الغمة: ٢٦٥/٣، منتخب الأثر: ٣٢٠، الغيبة للطوسي: ١٢٤ - ١٢٨، حيث تجد قصة أمه الشريفة ذات الأصل الباذخ. بل تجدها في أكثر مصادر هذه الصفحة، وفي ينابيع المودة: ٦٢/٣ و ١١٣ و ١١٦.

أصحابه^(٧٠) بشرائها حين وصلت إليه قصتها وعرف بابائها أن ثباع لمن عرضوا عليها، لا أن كان يعلم أنها مرصودة لولده، فتمّ ذلك واشتراها صاحبه واحضرها إليه، فكلف خادمه كافوراً أن

يستدعي له أخته السيدة الجليلة حكيمة، فجاءت فقال لها: ها هي^(٧١)، فخذها وعلمها الفرائض فإنها زوجة ابني أبي محمد وأم القائم (عليه السلام)!

فهل فكر امرؤ بقول الهادي (عليه السلام) هاهية؟ وهل علم القارئ

حلاً للغز هذه اللفظة؟ لا، فمن المؤكد أن الإنسان لا يفكر بهذه السرعة ليعلم المقصود.. فهاهي تدل على أن أم القائم (عليه السلام) كانت معروفة في بيت الهادي بذاتها وصفاتها، وكانت منتظرة، والبيت كله على موعد معها، يعني أنها ليست غريبة على سمع الهادي ولا على سمع أخته وأهل بيته، لأنها ليست ككل سبيّة ثباع وتشتري! نعم إنها لذلك: يعرفها أهل البيت، ويعرف الإمام العاشر كامل قصتها وظروف وصولها الى بيته بعهد معهود متوارث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله). وكانت هذه الفتاة الشريفة قد رأت في منامها - وهي في بيت أبيها - أن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) قد حضر الى بيتها مع بنته الزهراء (عليها السلام) وجلس الى عيسى بن مريم (عليهما السلام) وجلست الزهراء الى مريم بنت عمران (عليها السلام) ثم خطبها النبي من المسيح لولده الحسن العسكري، ثم رأت كأن الزهراء ارتها صورة العسكري وعرفت قدره وعلمتها كيف تصل إليه^(٧٢).. فأفاقت من هذا الحلم الذهبي الذي أخذ بمجامع قلبها وأثار طريق حياتها وخلع عليها بهجة وأملاً عظيماً، أفاقت لتتدبّر أمر وصولها الى خاطبها العظيم كما علمتها سيدتها الزهراء، ولتجعل الحلم حقيقة واقعة.. وهكذا كان. وكان أن وصلت الى بغداد مع السبايا، وعُرض عليها من عرض فرفضت أن تباع لأحد حتى تلقت فيما تلقت رسالة الإمام الهادي (عليه السلام) فعرفت صاحبها، ووافقت، وأمرت النخاس أن يجري البيع لصاحب الرسالة... ثم وصلت الى بيت أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه^(٧٣).

ثانياً: الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) وظروف الولادة

(٧٠) هو مولاه الذي يدعى بشر بن سليمان النخاس، وهو من نسل أبي أيوب الأنصاري. أنظر مثير الأحزان ص ٢٩٠ و ٢٩١.

(٧١) راجع الغيبة للطوسي: ١٢٨، إلزام الناصب: ٩٢ - ٩٤، مثير الأحزان: ٢٩٠ - ٢٩٤ ففيها جميعها كامل القصة.

(٧٢) بحار الأنوار: ٦/٥١ - ١٠، جامع الأخبار: ٢٣، مثير الأحزان: ٢٩١ - ٢٩٥ تجد فيها تمام القصة، كمال الدين للصدوق: ٤٢٤/١ وما بعدها.

(٧٣) وقد كانت الرسالة باللغة الرومية، أنظر إلزام الناصب: ٩٢ وغيره من المصادر.

إنّ تتبّع الأحداث ووقائع عصر الإمامين علي بن محمد الهادي والحسن بن علي العسكري (عليهما السلام) يوضح موقف السلطة نحوها وما كانا يعانيان من قهر واضطهاد وإبعاد عن القواعد الشيعية من أجل تطويقها ووضع العراقيل أمام تأثيرهما في هذه القواعد وغيرها من أبناء الأمة الإسلامية، فإنّ المتوكل مع اشتهاه بغضه للإمام علي (عليه السلام) وأبنائه وشيعته كان قد أشخص الإمام الهادي (عليه السلام) من مدينة الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى سامراء وأرسل إليه رسالة يُظهر فيها حبّه وتقديره وتكريمه له (عليه السلام) وذلك عام (٢٢٤ هـ) ^(٧٤) حيث أرسل يحيى بن هرثمة لإشخاص الإمام (عليه السلام) إليه، وكان بصحبته الإمام العسكري (عليه السلام) وهو لم يزل صغيراً وله من العمر عامان ^(٧٥).

وهذه الخطوة من الخليفة العباسي تظهر مخاوف السلطة من دور الإمام (عليه السلام) وأنّ إشخاصه إلى البلاط وقربه من السلطة يجعله دوماً تحت مراقبة عيونها ويسهل عليها التعرف على تحرّكه واتصالاته والداخلين عليه من مواليه ومؤيديه ممّا يبسرّ للسلطة متابعة ذلك، واتخاذ الاجراءات الكفيلة بالحدّ من تأثيره ثم متابعة شيعته ومطاردتهم وإلقاءهم في السجون فضلاً عن وسائل السلطة الأخرى في قهرهم واضطهادهم.

وكانت سامراء عاصمة الدولة العباسية مسرحاً لتلك الأحداث والوقائع ولنشاط الإمامين الهادي والعسكري (عليهما السلام)، وما يلاحظ على نشاطهما (عليهما السلام) تجاه السلطة العباسية من قرب من الخليفة وحضور مجالسه لم يمنعهما ذلك من ممارسة دورهما في رعاية تلك القواعد المؤمّنة بقيادتهما الروحية والفكرية وتربيتها، فكانا (عليهما السلام) يتكفّلان الإصلاح والحفاظ على الشريعة ما استطاعا إلى ذلك من سبيل، بيد أنّ ذلك النشاط في الغالب كان يتّصف بالحدز، كما كان محاطاً بالكتمان والرمزية قولاً وعملاً إلا ما يطرحه الإمام (عليه السلام) أمام خلّص أصحابه ومواليه ومن هو على درجة عالية من الارتباط بالإمام (عليه السلام).

وكان للإمامين (عليهما السلام) جمع من الوكلاء المنتشرين في الأمصار الإسلامية، وكان للوكيل دور هام في إيصال ما يصدر عن الإمام (عليه السلام) إلى قواعده وما تريده القواعد من الإمام (عليه السلام). وكان الوكلاء يجمعون الحقوق الشرعية من خمس وزكاة ترد إليهم من شيعة الإمام (عليه السلام) ومواليه المنتشرين في المناطق المختلفة من الوطن الإسلامي آنذاك فكانوا يوصلون هذه الأموال إلى الإمام (عليه السلام) ومعها الأسئلة والاستفتاءات حول المسائل الدينية والدنيوية، وكان الإمام (عليه السلام) يقوم بدوره في تقسيمها وتوزيعها والإجابة على ما

(٧٤) المسعودي، مروج الذهب: ٨٤/٤.

(٧٥) الفضل بن الحسين، الطبرسي: ١٣١/٢.

يرد إليه من أسئلتهم واستفساراتهم عن طريق وكلائه وخواصّه لتصل الى قواعده الشعبية للعمل وفقاً لها^(٧٦).

وأما موقف السلطة فكان يتمثل في الخليفة نفسه وقوّاده ووزرائه وخاصّته وأهل بيته من العباسيين الذين كانوا يتوجّسون خيفةً باستمرار من وجود الإمام(عليه السلام) وما يصدر عنه، قول أو فعل

من أحد أصحابه، فمن يُعرف بولائه واتصاله بالإمام(عليه السلام) فالسجن والأغلال هما النهاية الطبيعية له، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل كان يتعدّاه الى إلقاء القبض على الإمام(عليه السلام) وإيداعه السجن وفرض مراقبة مشدّدة عليه في سجنه فضلاً عن اختيار أسوأ السجّانين خُلُقاً وسلوكاً وممنّ يعرف بعدائه ونصبه للإمام(عليه السلام) لتبلغ السلطة بذلك غايتها في عزل الإمام(عليه السلام) عن قواعده وإبعاده عنها فكانت السلطة تعمل جاهدة لعزل القواعد الشعبية للإمام(عليه السلام) عن الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فكان الفرد منهم يعاني الخوف والفقر والمرض من دون أن يجد ناصراً أو معيناً له^(٧٧).

ويُتضح لنا من الظروف المحيطة بالإمامين الهادي والعسكري(عليهما السلام) وموقفهما إزاءها ونشاطهما الخاص تجاه قواعدهما الشعبية أن كلاّ منهما(عليهما السلام) لم يكن مكرّساً مواقفه وتحركه ونشاطه للاستيلاء على السلطة، وإنّما كان غاية ما يسعى إليه الإمام(عليه السلام) هو رعاية مصالح أصحابه وإدارة شؤونهم. وبالرغم من وضوح عدم التصدي لاستلام السلطة فإنّ السلطة - بمختلف مستوياتها - كانت تُثار بذلك النشاط مع ما يضاف إليه من وهمها الخاطي باحتمال مطالبة الإمام(عليه السلام) بحقه المشروع المستلب من قبل السلطة غير الشرعية.

من هنا كانت السلطة تبذل الجهود الجبارة ضدّ أي تحرّك من الإمام(عليه السلام) وأي نشاط له^(٧٨)، بالرغم من ذلك كلّه وبالرغم من سياسة المراقبة والتقريب الى البلاط فقد استطاع الإمامان(عليهما السلام) أن يخفيا نشاطهما واتصالهما بقواعدهما الشعبية، وبذلك أمنا قسطاً كبيراً من الاضطهاد الذي كان يمكن أن يصيبهما وأصحابهما من السلطة، كما حقّقا كثيراً من المصالح التي كان يستحيل تحقيقها لولا أسلوبهما(عليهما السلام) في تجاوز عيون السلطان وأساليبه في المواجهة للحدّ من نشاط وتحرك الإمام(عليه السلام) واتصاله بمواليه وشيعته. ولا تعني إجراءات السلطة وتعسفها تجاه الإمام(عليه السلام) أنها كانت تجهل أحييته ومنزلته العالية، فالسلطة بمختلف طبقاتها وموظفيها وأهل الأمر النافذ فيها، وعلى تفاوتهم

(٧٦) المناقب، ابن شهر آشوب: ٥٠٥/٣.

(٧٧) الغيبة الصغرى، محمد الصدر: ٢٣٩.

(٧٨) يراجع المناقب ج ٣، إثبات الوصية للمسعودي حول مواقف السلطة وتحركها ضد الإمام(عليه السلام) وقواعده الشعبية.

في التعصب أو حسن التفكير، كانوا يعرفون في قرارة أنفسهم حق الإمام(عليه السلام) وعلو منزلته ويعتبرونه خير خلق الله في عصره؛ وذلك لما عُرف به من العبادة والعلم والزهد في الدنيا والأخلاق الحميدة والنسب الشريف، فهو سليل الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله)، ولا يختلف في ذلك المواليون عن غيرهم، ولا الخلفاء عمّن سواهم، فنرى الخليفة المعتمد العباسي إبان إحساسه بالضعف يأتي إلى الإمام العسكري(عليه السلام) بنفسه، فيجيبه الإمام إلى طلبه ويدعو له وكانت خلافته عشرين سنة بفضل دعاء الإمام(عليه السلام) .

ونلاحظ أنّ المعتمد العباسي - الذي عاصر بداية أيام الإمام المهدي(عليه السلام)- هو الذي تصدّى للفحص عن تركة الإمام وورثته ومراقبة الحوامل من نسائه، وإن ذلك لدليل لعدم معرفته للحق وخشيته على عرشه وسلطته؛ لعلمه أنّ المهدي(عليه السلام) هو الإمام القائم بالحق المقيم للعدل، والمزيل لعروش الظالمين والطغاة، وقد روى المسلمون بمختلف فرقهم ومذاهبهم ذلك عن النبي(صلى الله عليه وآله) .

إنّ الاعتقاد بوجود المهدي(عليه السلام) وظهوره من القضايا التي كانت قد انتشرت بين المسلمين؛ وذلك للتبليغ المستمر بها منذ زمان النبي(صلى الله عليه وآله) إلى زمان الإمام العسكري(عليه السلام)، ففي الوقت الذي كان يبلغ فيه الإمامان الهادي والعسكري(عليهما السلام) عن غيبة الإمام المهدي(عليه السلام)، كان يكتب البخاري ومسلم وأبوداود وابن ماجه في صحاحهم أخبارهم التي كانوا يروونها عن الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) جيلًا بعد جيل^(٧٩). وقد مارس الإمامان العسكريان(عليهما السلام) التمهيد المباشر لغيبة الإمام المهدي(عليه السلام) وذلك لكي يعتاد أصحابه فكراً وسلوكاً عليها، وكان ذلك التمهيد باتخاذ نظام الوكلاء أولاً، وتخطيطهم للاحتجاب عن الناس ثانياً.

وسوف يتحقق كلا الأمرين في الغيبة الصغرى للإمام المهدي(عليه السلام) فالإمام الهادي(عليه السلام) لا يعلن بصراحة عن إمامة ولده الحسن العسكري(عليه السلام) إلا قبيل وفاته، وأن إجراءاته حول غيبة الإمام المهدي(عليه السلام) لم تكن أوسع ممّا اتخذها الإمام العسكري(عليه السلام) الذي تكفل بالقسط الأكبر فيما يتعلق بالتمهيد للغيبة فهو والده مع قرب وقوع الغيبة، ونخلص إلى ما أوجزنه عن ظروف الإمامين(عليهما السلام)- العامة والخاصة - التي سبقت ولادة الإمام المهدي(عليه السلام) وتزامنت مع ولادته، وهي عموماً تفصح عن سبب إخفاء ولادته وشخصه عن عموم الناس من قبل الإمام العسكري(عليه السلام) .

ثالثاً: الأخبار الدالة على إخفاء ولادة الإمام(عليه السلام)

لقد وردت أخبار كثيرة تشير الى غيبة الإمام المهدي(عليه السلام)، وقد تناقلها المسلمون جيلاً بعد جيل، وفيها الإشارة الى ما يسود المجتمع البشري من الجور والظلم والاضطهاد. وهناك أحاديث أخرى تضمنت الاخبار عن خفاء مولده(عليه السلام) .

إنّ واقع الحال - الذي سبقت الإشارة إليه - وهو ظروف ولادة الإمام(عليه السلام)تعزّز ذلك، مع إمكان الاستفادة من الروايات التي وردت عن الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) والتي تشير الى غيبة الإمام(عليه السلام)وحيرة الأمة وما يجري على أهل بيته(عليهم السلام) كمؤشرات على خفاء ولادته(عليه السلام)، ومن هذه الروايات والأخبار:

١ - ما جاء عن أمير المؤمنين(عليه السلام) أنّه قال: إنّ القائم ممّا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة، فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه^(٨٠) .

٢ - ما عن الإمام علي بن الحسين سيد العابدين(عليه السلام) أنّه قال: القائم ممّا تخفى ولادته على الناس حتى يقولوا: لم يولد بعد^(٨١) .

٣ - عن عبدالله بن عطاء حيث قال: قلت لأبي جعفر - أي محمد الباقر(عليه السلام)- إن شيعتك بالعراق كثيرون فوالله ما في أهل بيتك مثلك فكيف لا تخرج؟

فقال: يا عبدالله بن عطاء قد أمكنت الحشو من أدنيك والله ما أنا بصاحبكم، قلت: فمن صاحبنا؟ قال: أنظروا من تخفى على الناس ولادته فهو صاحبكم^(٨٢) .

٤ - وعن أيوب بن نوح قال: قلت للرضا(عليه السلام): إنا لنرجو أن تكون صاحب هذا الأمر وأن يرده الله عزّ وجلّ إليك من غير سبق فقد بويع لك وضربت الدراهم باسمك فقال: ما ممّا أحد اختلفت إليه الكتب وسئل عن المسائل وأشارت إليه الأصابع وحملت إليه الأموال، إلا اغتيل أو مات على فراشه حتى يبعث الله عزّ وجلّ لهذا الأمر رجلاً خفيّ المولد والمنشأ غير خفيّ في نسبه^(٨٣) .

الى غيرها من الأحاديث المروية عن بقية الأئمة(عليهم السلام)^(٨٤)والتي صرّحت بأن للإمام المهدي(عليه السلام) سُنّة من موسى ويوسف وعيسى(عليهم السلام) - وهي الغيبة وخفاء الولادة - وقد صرّح القرآن حول عيسى:(كمثل آدم قال له كن فيكون). وتفيد الآية المباركة التي ذكرت المماثل أنّ الحمل وما يرافقه من حالات لم تكن تعرض لأُم المسيح(عليه السلام) فهي كذلك بالنسبة لأُم الإمام المهدي(عليه السلام) .

(٨٠) كمال الدين، الصدوق: ٣٠٣/١.

(٨١) كمال الدين: ٣٢٣/١ .

(٨٢) كمال الدين: ٣٢٥/١.

(٨٣) كمال الدين: ٣٧/٢ .

(٨٤) كمال الدين: ٢/١، حول أحاديث الأئمة(عليهم السلام) بهذا الخصوص.

رابعاً: علة إخفاء ولادته (عليه السلام)

إنّ قضية الإمام المهدي (عليه السلام) بكلّ أبعادها ومظاهرها قضية تتعلّق بإرادة الله سبحانه وحكمته فهو أعلم حيث يجعل رسالته، وهي من القضايا العامة التي اهتمّت الديانات بها، وبشّر الأنبياء بظهور المصلح المنتظر الذي يزيل الظلم ويقيم دولة الحق، فهي ليست قضية إسلامية خاصة ولا هي من معتقدات الشيعة الإمامية فحسب، فالتوراة تضمّنت البشارة به وكذا الأنجيل الأربعة، بيد أن وضوح الرؤية حول هذه العقيدة جلت بكلّ أبعادها - فيما عدا التوقيت بظهور الإمام (عليه السلام) - بما تناقله المسلمون على امتداد التاريخ الإسلامي منذ البعثة وحتى يومنا هذا.

أما بخصوص العلة في إخفاء ولادته فقد أثر عن النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومين (عليهم السلام) ما يوضّح السبب والعلة في إخفاء ولادته (عليه السلام):

١ - عن أبي بصير، عن أبي عبدالله - أي الإمام الصادق (عليه السلام) - قال: «صاحب هذا الأمر تعمى ولادته على هذا الخلق لنلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج»^(٨٥).

٢ - وعن الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) أنه قال: «كأنّي بالشيعة عند فقدهم الثالث من ولدي - أي الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) - كالنعم يطلبون المرعى فلا يجدونه. قلت له: ولم ذاك يا ابن رسول الله؟ قال: لأن إمامهم يُغيب عنهم، فقلت: ولم؟ قال: لنلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا قام بالسيف»^(٨٦).

٣ - عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إنّ للقائم غيبة يطول أمدها، فقلت له: يا ابن رسول الله ولم ذلك؟ قال: لأن الله أبقى إلا أن تجري فيه سنن الأنبياء (عليهم السلام) في غيبتهم، وأنه لا بد له يا سدير من استيفاء مدة غيبته، قال الله تعالى: (لتركبن طبقاً عن طبق)^(٨٧) أي سنن من كان قبلكم»^(٨٨).

٤ - وعن زرارة قال: سمعت أبا جعفر - أي الإمام الباقر (عليه السلام) - يقول: إنّ للقائم غيبة قبل أن يقوم، قال: قلت: ولم؟ قال: يخاف - وأوماً بيده إلى بطنه - قال زرارة: يعني القتل^(٨٩).

٥ - عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: إنّ القائم ممّا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة، فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه.

(٨٥) كمال الدين: ٤٧٩/١ - ٤٨٠.

(٨٦) كمال الدين: ٤٨٠/٢.

(٨٧) الانشقاق: ١٩.

(٨٨) كمال الدين: ٤٨١/٢.

(٨٩) كمال الدين: ٤٨١/٢.

٦ - عن سدير بن حكيم، عن أبيه عن أبي سعيد عقيصاً قال: لما صالح الحسن بن علي (عليه السلام) معاوية بن أبي سفيان دخل عليه الناس، فلامه بعضهم على بيعته، فقال: ويحكم ماتدرون ما عملت، والله الذي عملت خيراً لشيعتي ممّا طلعت عليه الشمس أو غربت. ألا تعلمون أنني إمامكم مفترض الطاعة عليكم، وأحد سيدي شباب أهل الجنة بنصّ من رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليّ؟ قالوا: بلى، قال: أما علمتم أن الخضر (عليه السلام) لما خرق السفينة وأقام الجدار وقتل الغلام كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك؟ وكان ذلك عند الله تعالى ذكراً حكمة وصواباً.

أما علمتم أنه ما منّا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذي يصلي روح الله عيسى بن مريم (عليه السلام) خلفه، فإن الله عزّ وجل يخفي ولادته ويغيّب شخصه لنلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج. ذلك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيّدة الإمام يطيل الله عمره في غيبته ثم يظهره بقدرته في صورة شاب دون أربعين سنة، ذلك ليعلم أن الله على كلّ شيء قدير^(٩٠).

٧ - وعن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: للقائم غيبة قبل قيامه، قلت: ولِمَ؟ قال: يخاف على نفسه الذبح^(٩١).

إنّ هذه الأحاديث الشريفة كلّها تفيد أن علّة إخفاء الولادة وأنّ سبب الغيبة ترجع الى أمرين:

الأول: أن لا تكون في عنقه بيعة لطاغية زمانه.

الثاني: الخوف من القتل.

وإنّ الحديث السابق عن الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) والذي ضرب فيه المثل لما قام به الخضر (عليه السلام) واستنكار نبي الله موسى (عليه السلام) لذلك نظراً لعدم وضوح حكمة الله له، يُستفاد منه أنّ للإخفاء علّة معلومة عند الله وإن كانت خافية على الناس، وإن سألوا ولم يعرفوها فعليهم التسليم لحكم الله وحكمته^(٩٢).

(٩٠) كمال الدين: ٣١٦/١ .

(٩١) كمال الدين: ٤٨١/٢ .

(٩٢) تاريخ الإسلام، سيد منذر الحكيم: ٣٨/٤ .

الفصل الخامس

نشاطات الإمام (عليه السلام) العامة

أولاً: وجوده وإمامته

إنّ التحاق الإمام العسكري (عليه السلام) بالرفيق الأعلى وما رافق ولادة ولده الإمام المهدي (عليه السلام) من كتمان وتحفظ كلها عوامل تدفع الإمام (عليه السلام) الى تعريف مواليه وسواهم بوجوده وإظهار ما يلزم لبيان تولية الإمام بعد أبيه (عليه السلام) .

وكانت صلّاته على أبيه وإبعاده لعمّه جعفر أوّل ظاهرة يخرج فيها الإمام (عليه السلام) ويكشف نفسه أمام ملامن الناس بمختلف المستويات حيث تجمّعوا لتشيع الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، وقد حضر من القواعد الشعبية ما يقارب الأربعين شخصاً مع السفير الأوّل عثمان بن سعيد (رضي الله عنه) .

ثانياً: صيانة تراث آبائه (عليهم السلام)

إنّ النشاط العام الثاني البارز للإمام (عليه السلام) في فترة الغيبة الصغرى هو الحفاظ على تراث آبائه وتنمية الناحية العلمية والفكرية لقواعده الشعبية والحفاظ على مسار الأمة بقدر ما يمكن عن الانحراف، وقد تضمّن هذا التراث تحديد وتوضيح قواعد وأصول استنباط الأحكام الشرعية والمعارف الإسلامية كما يتضح ذلك من خلال نشاطات السفراء وتوجيهات الإمام (عليه السلام) لهم.

وقد دونت في عصر الغيبة الصغرى الأصول الأربعمئة والتي ضمت ما ورد عن الأئمة (عليهم السلام) وحُفظت فيها السنّة النبويّة الواردة عن طريق أهل البيت (عليهم السلام) (٩٣) . وبالتالي حفظ المسيرة الثقافية والتكاملية للأمة الإسلامية.

ثالثاً: النيابة الخاصة

إنّ النيابة كنظام قد احتمل وأرسى مرتكزاته الإمام المهدي (عليه السلام) وقد سبقه الأئمة (عليهم السلام) في الاعتماد على الثقات والخواص من أهل التقوى وممن عرفوا بوفرة العلم والاجتهاد.

ونجد أن الإمام الهادي(عليه السلام) يمهد للوكالة ويوثق لقواعده وكيل الإمام المهدي الأول بقوله: «هذا أبو عمرو الثقة الأمين ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات، فمأقاله لكم فعني يقوله، وما أدى إليكم فعني يؤديه»^(٩٤).

وقد أحصى الشيخ الصدوق أسماء اثني عشر شخصاً من وكلاء ونواب الإمام المهدي(عليه السلام) في الغيبة الصغرى، وأضاف السيد محمد الصدر إليهم أسماء ستة آخرين استناداً الى ما ورد في المصادر التاريخية وكتب الرجال^(٩٥).

وكان الإمام(عليه السلام) يعيّنهم مباشرة ويصدر بيانات وتوثيقات حول ذلك مع نفي الوكالة عمّن كان يدّعيها غيرهم ولم يكن منهم.

وربّما يقال أنّه لم تكن حاجة في زمن الأئمة الذين سبقوا الإمام المهدي(عليه السلام) الى الوكلاء الخاصين الذين يقومون بنفس أعمال السفراء الأربعة، لأن الإمام(عليه السلام) كان موجوداً وظاهراً، وكان بالإمكان لكل أحد أن يتّصل به، ولئن مرّ بعض الأئمة(عليهم السلام) في بعض الظروف بوضع استثنائي يصعب الوصول المباشر إليهم خصوصاً بعد واقعة الطف، وامتداداً مع وجودهم حتى تاريخ الغيبة الصغرى؛ فإن ذلك لا يقاس بعصر غيبة الإمام(عليه السلام) وعدم إمكان الارتباط به.

وممّا لاشك فيه أن الأوضاع السياسية والظروف الخاصة بالكيان الشيعي، عقيب استشهاد الإمام العسكري(عليه السلام) وبدء

مرحلة الغيبة الصغرى لم تكن تسمح بأن يكون عمل السفراء علنياً، لذا كان الشرط الأول في الوكلاء وخاصة السفراء أن يكونوا على مرتبة عالية من الإلتزام بالسرية وعدم الكشف عن المهام المناطة بهم خلال هذه المرحلة.

كما وضع الإمام(عليه السلام) الإطار العام والشروط الواجب توفّرها في النائب العام في مرحلة الغيبة الكبرى إتماماً لما ورد عنهم من الصفات اللازمة عن آبائهم(عليهم السلام).

رابعاً: الإمام العسكري(عليه السلام) يعرض ولده على الخواص

اتّضح من خلال الإجراءات التي اتخذها الإمام العسكري(عليه السلام) أن السلطة لم تكن قد التفتت الى ولادة المهدي(عليه السلام) أو أحسّت بشيء يدلّ على ذلك، وكانت السلطة تتربّع ولادته وتبحث عنه غير أن محاولاتها باءت بالفشل.

(٩٤) الغيبة، الطوسي: ٢١٥.

(٩٥) الغيبة، الطوسي: ١٧٢ ومابعدھا.

وكان الإمام العسكري(عليه السلام) يكتفي عند عرض ولده على خاصّته بقوله لهم: «هذا إمامكم» يعني أنه الإمام بعده، ويقتصر في التصريح باسمه على الأقل، كما أنه(عليه السلام) لم يـنه عن تسميته^(٩٦).

فالإمام(عليه السلام) حيث كان يُريد أن يثبت وجود ولده المهدي(عليه السلام)، كان يختار من يطمئن إليه وخاصة أولئك الذين يربطون بينه وبين قواعده الشعبية وينقلون المراسلات والتوقيعات منه وإليه، فانهم خير من يستطيع أن يبلغ خبر الولادة الى القواعد الشعبية، فإن هذه القواعد تعرف سلفاً وثاقاً هؤلاء الأشخاص وإيمانهم وإخلاصهم واعتماد الإمام(عليه السلام) عليهم. حيث لا يتيسر للقواعد الشعبية أن ترى الإمام(عليه السلام) في الحالات الطبيعية، فكيف في تلك الظروف المعقدة وهي كانت تحصل على ما تحتاجه عن طريق أولئك الذين هم حلقة الوصل بين الإمام(عليه السلام) وقواعده، فمثلاً كان يحصل لهم اليقين بما ينقلونه لهم عن الإمام(عليه السلام) فكذلك سوف يحصل لهم اليقين والإطمئنان بخبر الولادة ووجود الإمام المهدي(عليه السلام) من نفس الطريق. كما أن ذلك هو طريق كافة الناس في حصول اليقين والإطمئنان في مثل تلك الأحوال في مجال نقل الحوادث والأخبار.

ونحن الذين نعيش عصر الغيبة الكبرى قد وصلنا من طرق الخاصة والعامة تواتر خبر ولادته ووجوده، فكيف من عاش في ذلك الزمن الذي كانت كلّ القرائن تدلّ عليه، وكلّ الأيدي تشير إليه؟! وكان همّ أبيه ووكلائه وأصحابه، هو التأكيد على وجوده والتبليغ عنه الى كلّ من يصلح أن يتحمّل مسؤولية ذلك.

وكان أوسع إعلان قام به العسكري(عليه السلام) بين أصحابه عن ولادة ابنه وإمامته من بعده ووجوب طاعته عليهم قبل وفاة الإمام(عليه السلام) بأيام، وقد كان مجلسه غاصّاً بأربعين من أصحابه وخاصّته، منهم: محمد بن عثمان العمري، ومعاوية بن حكيم، ومحمد بن أيوب بن نوح وسواهم، فعرض عليهم ولده(عليه السلام) وقال: هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم أطيعوه ولا تتفرّقوا من بعدي فتهلكوا في دياركم، ثم أضاف مشيراً الى غيبته(عليه السلام): أما إنكم لا ترونه بعد يومكم^(٩٧).

كما أن الإمام(عليه السلام) قد عرض ولده في اليوم الثالث من ولادته وأشار أيضاً الى غيبته وظهوره(عليه السلام)... فهو القائم الذي تمدّ إليه الأعناق بالانتظار، فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً، خرج فملأها قسطاً وعدلاً.

(٩٦) الغيبة، الطوسي: ٢٨٠ - ٢٨١.

(٩٧) كمال الدين: ٤٣٥/٢.

فهكذا كان الإعلان الرسمي الكبير حول مولده (عليه السلام) بعد الميلاد وقبل وفاة الإمام العسكري (عليه السلام) لكي يكون هو الأساس لإقامة الحجة تجاه القواعد الشعبية الموالية، كما أن الإمام (عليه السلام) كان يعرضه خلال هذه المدة على أشخاص يزورونه بمفردهم. منهم: عمرو الأهوازي حيث أراه الإمام ولده المهدي (عليه السلام) وقال له: هذا صاحبكم^(٩٨). وممن رأى الإمام المهدي (عليه السلام) رجل من فارس كان قد قصد الإمام العسكري (عليه السلام) ليتشرف بخدمته فأذن له الإمام بذلك فكان

مع الخدم يشتري لهم الحوائج من السوق، وبقي على هذه الحال حتى أصبح خاصاً وارتفعت الكلفة بينه وبين الإمام (عليه السلام) ... فكان يدخل الدار دون استئذان إذا لم يكن فيها إلا الرجال، وبينما هو داخل عليه في يوم من الأيام إذ سمع حركة في البيت فناده الإمام (عليه السلام): مكانك لا تبرح. قال: فلم أجسر أن أخرج ولا أدخل. فخرجت عليّ جارية معها شيء مغطى، ثم أمره الإمام (عليه السلام)

بالدخول فدخل الغرفة، وأمر الجارية أن ترفع الغطاء فكشف عن غلام أبيض حسن الوجه، قدره الراوي بسنتين، وقال الإمام (عليه السلام): هو صاحبكم، ثم أمر الجارية به فحملته، فلم ير بعد ذلك حتى توفي الإمام العسكري (عليه السلام).

فمع كون هذا الرجل ملازماً لدار الإمام (عليه السلام) وقربه منه، نجد أنه لم يعلم بولادة الإمام (عليه السلام) ولم يشعر بأي أمر غير طبيعي في الدار، واكتفى الإمام بعرضه عليه مرة واحدة كما هو الشأن مع جملة أصحابه وخاصته. وبالتأمل في الرواية نجد أن المولود المبارك قد عرض على رجال آخرين كانوا في الدار وليس على هذا الرجل فحسب^(٩٩).

وممن عرض عليه الإمام المهدي (عليه السلام) ونظر إليه، هو أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري، وهو من خاصة الإمام (عليه السلام)، وكان أحمد هذا قد قصد زيارة الإمام العسكري (عليه السلام)، يُريد أن يسأله عن الخلف من بعده، ومن يتولى الإمامة بعد وفاته ويضطلع بشؤون الأمة، فيدخل عليه فيقول له الإمام (عليه السلام) مبتدئاً: يا أحمد بن إسحاق إن الله تبارك وتعالى لم يُخل الأرض منذ خلق آدم (عليه السلام) ولا يخليها إلى أن

تقوم الساعة من حجة الله على خلقه به يدفع البلاء عن أهل

الأرض وبه ينزل الغيث وبه يخرج بركات الأرض. ثم يسأل الإمام العسكري (عليه السلام) عن الإمام بعده فينهض الإمام (عليه السلام) مسرعاً ويدخل إحدى الغرف، ثم يخرج وعلى عاتقه غلام كأن وجهه القمر ليلة البدر، من أبناء ثلاث سنين ثم يقول: يا أحمد بن إسحاق

(٩٨) الإرشاد، الشيخ المفيد: ٣٣٠.

(٩٩) كمال الدين: ٤٣٦، الحديث ٤.

لولا كرامتك على الله عزّ وجلّ وعلى حججه ما عرضت عليك
ابني هذا، إنّه سمي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكنيته، الذي يملأ الأرض قسطاً
وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يا أحمد بن إسحاق، مثله في هذه
الأمّة مثل الخضر (عليه السلام) ومثله مثل ذي القرنين، والله ليغيبن غيبة لا
ينجو فيها من الهلكة إلا من ثبتته الله عزّ وجلّ على القول بإمامته
ووقفه الله للدعاء بتعجيل فرجه.

قال أحمد بن إسحاق: فقلت: يا مولاي فهل من علامة يطمئن بها قلبي؟ فنطق الغلام (عليه
السلام) بلسان عربي فصيح: أنا بقية الله في أرضه
والمنتقم من أعدائه، ولا تطلب أثراً بعد عين يا أحمد بن إسحاق.
قال أحمد بن إسحاق: فخرجت مسروراً. وعُدت إليه في الغد، فقلت له: يا ابن رسول الله،
لقد عظم سروري بما مننت عليّ فما السبّة الجارية عن الخضر وذي القرنين؟ قال: طول الغيبة
يا أحمد. قلت: يا ابن رسول الله وإن غيبته لتطول قال: أي وربّي، حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر
القائلين به إلا من أخذ الله عزّ وجلّ عهده بولايتنا وكتب في قلبه الإيمان وأبرّه بروح منه، يا أحمد بن إسحاق
هذا أمر من أمر الله وسرّ من سرّ الله، وغيب عن غيب الله فخذ ما آتيتك واكتمه وكن من الشاكرين معنا في
علين (١٠٠).

خامساً: دور الإمام العسكري (عليه السلام) في الإعلان عن الولادة
على الرغم ممّا أحيط به الميلاد المبارك من كتمان وسريّة وخفاء نجد أنّ الإمام
العسكري (عليه السلام) لا يكتف ذلك عن خاصّته من ثقافته، فهو يأمر أبا عمر عثمان بن سعيد،
وهو من أخصّ أصحابه لديه بأن يعقّ عن المولود الجديد عدداً من الشياه وأن يشتري عشرة
آلاف رطل من الخبز وعشرة آلاف رطلاً لحماً ويوزّعه على الفقراء، كما أرسل الإمام
العسكري (عليه السلام) شاة مذبوحة الى محمّد بن إبراهيم الكوفي، وهي عقيقة عن المولود
الجديد (١٠١).

ويتباشر أصحاب الإمام العسكري بميلاد الإمام المهدي (عليه السلام) ويأتون الإمام مهتئين
بالمولود ويتواصون فيها بينهم بكتمان الأمر، ويسأل أحدهم عن اسمه (عليه السلام) فقال له
سُمّي: بـ «محمّد» وكُنّي: «بأبي جعفر» ومن خلال الظروف والملابسات التي كانت تحيط

(١٠٠) كمال الدين، الباب ٣٨، الحديث ١.

(١٠١) كمال الدين: ٤٣٢/٢ وما بعدها.

بالإمام العسكري(عليه السلام) والجماعة الصالحة يتّضح عِظم المهمة التي يقوم بها الإمام(عليه السلام) تجاه ولده المبارك، وتتمثل هذه المهمة في أمرين:

١ - التعريف بولادة الإمام(عليه السلام) ليثبت ذلك التاريخ والأمة الإسلامية فضلاً عن الجماعة الصالحة التي تنتظر مولده(عليه السلام) وتأمل إقامة دولة الحق على يديه لإيمانها بقيادته الروحية والفكرية وفقاً للنصوص الواردة عن النبي(صلى الله عليه وآله)حيث قال: «يكون بعدي اثنا عشر خليفة»^(١٠٢).

إذاً فليس من الممكن أن يبلغ الحذر والتوقي الى حدّ إخفائه الكامل بحيث يؤدي الى ضياع اسمه وإنكار وجوده، مع كونه(عليه السلام)الإمام الثاني عشر لمواليه والمسلمين والقائد المؤمل والمذخور لإقامة دولة الحق.

فلابد إذن من إقامة الحجّة والدليل على وجوده على المستوى الخاص بمواليه وعلى مستوى المسلمين عامة بحيث يصبح هناك تواتر في الأخبار على ولادته ورؤيته، ليدحض مزاعم من يقول بعدم ولادته وعدم وجوده.

٢ - حماية الإمام المهدي(عليه السلام) من السلطة وطغاة العباسيين ومطاردتهم له، كما أتضح ذلك من الظروف الخاصة والعامة التي أحاطت بالإمامين(عليهما السلام)، مع ما كانت تعرفه السلطة ويعرفه الخليفة من أحقية الإمام(عليه السلام) وأنه من أهل البيت وأنه مزيل عروش الظالمين، غير أن حبّ السلطة والجاه والمصالح والمنافع التي تحرّك الخليفة وأعدائه والأسرة الحاكمة، كانت تمنع من إرجاع الحق الى أهله. ومن هنا كانت السلطة تشعر بهاجس الخوف من ولادة المهدي(عليه السلام)، ووجود الشخص الذي وردت الأخبار حوله عن الرسول(صلى الله عليه وآله)وشاعت بين المسلمين كافة بأنه(عليه السلام) هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

فظهوره(عليه السلام) يعني الحكم على نظامهم بالإنقراض المحتّم، وفضح انحرافاتهم وبعدهم عن الرسالة الإسلامية.

والخليفة والسلطة بطبقاتها، وان لم يتمكنوا من تحديد تاريخ ميلاد الإمام المهدي(عليه السلام) لما أحيط به من سرية من قبل الإمام العسكري(عليه السلام) إلا أنهم كانوا يعلمون إجمالاً أن زمانه(عليه السلام) قد أطلّ عليهم وأنه على وشك الولادة لما عرفوا من أن الإمام العسكري(عليه السلام) يكون الإمام الحادي عشر في سلسلة خلفاء الأمة الإسلامية التي وعد الرسول(صلى الله عليه وآله) بأنهم عدد نقباء بني إسرائيل... فيكون ولده الإمام المهدي(عليه السلام) هو خاتم هذه السلسلة المباركة من الأئمة(عليهم السلام) .

ومما يبرشدنا الى جهل السلطة بوجوده وميلاده (عليه السلام) وترقبها لميلاده، هو ما قامت به السلطة من مراقبتها لنساء الإمام العسكري (عليه السلام) والبحث عن تظهر عليها علامات الحمل، مع أن الإمام (عليه السلام) كان مولوداً قبل خمس سنوات، وقد عرضه الإمام العسكري على خواصّه ومواليه.

وإذا كان نشاط الإمامين العسكريين (عليهما السلام) مقتصرأ على حفظ مصالح قواعدهم الشعبية والسياسية من الجهاز الحاكم، فقد كان ذلك مثيراً للسلطة إذ كان لها مواقف مختلفة ضد الإمامين (عليهما السلام)، فكيف بنشاط الإمام المنتظر (عليه السلام) لإقامة الحق والعدل، ومحو الجور والظلم لتتعم الإنسانية في ظلاله الوارفة بكرامة الإسلام وعدله، ولهذا كانت السلطة تترقب وتبحث من أجل التعرف على أخبار المولود الموعود. ومن هنا يتضح مبلغ حراسة موقف الإمام العسكري (عليه السلام) ودقته في مثل تلك الظروف والتي هي في غاية التعقيد خصوصاً إذا عرفنا أن الإمام العسكري كان يعيش في مجتمع قد سلّطت عليه الأضواء فيه وأنه تحت إقامة جبرية ومراقبة دائمة، فهو المثال الذي يقتدى به لتقواه وورعه وعلمه، فضلاً عن القاعدة الواسعة من الأمة الإسلامية آنذاك والتي كانت تقول بإمامته وترجع إليه في حل مشاكلها، فضلاً عن أن السلطة كانت تلجأ إليه بين الحين والآخر عندما تقع في مأزق أو واقعة يعيا فيها السطان وتورّقه المشكلة ويشل فيها تفكير فقهاء السلطة ووعاظها فلا تجد السلطة من بدّ في الالتجاء الى الإمام العسكري للتخلص من المأزق الذي وقعت فيه، كما في قصة الراهب الذي استسقى للمسلمين ومعه الخليفة وكاد أن يرتد أكثر الناس، وكان الإمام في السجن، فأخرجه المعتمد وقال له، أدرك دين جدّك فخرج وكشف حيلة الراهب^(١٠٣).

والإمام في نظر السلطة كان يمثل القطب الأهم في الجبهة المعارضة وهو امتداد لخطّ آبائه (عليهم السلام)، والسلطة على معرفة تامّة بهم وبمواقفهم تجاهها، ولهذا كان تقريبها للإمام (عليه السلام) في البلاط ودمجه في دوائرها لتحديد أثره ونشاطه.

ولمّا كانت الأمة على علم واطّلاع بالمهمة والدور الذي يقوم به الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) فمن الطبيعي أن تتوجّه الأنظار صوب ميلاده ووجوده (عليه السلام).

وبغضّ النظر عن كون المنتظرين يؤمنون أو لا يؤمنون بقيادة أهل البيت (عليهم السلام) فقد كان من تخطيط الإمام العسكري (عليه السلام) عدم الإعلان عن ولادة ولده، وإن كان معتاداً أن يعلن عن الولادة وتقام الولائم شكراً لله سبحانه على نعمه، إذ كانت الأمور تجري في بيت الإمام (عليه السلام) بصورة طبيعية، ولم يكن هناك أي نشاط يثير الانتباه حتى أن خادم الإمام

(عليه السلام) لم ينتبه الى شيء^(١٠٤)، ولم يعرف شيئاً، ولما لم يكن انتباه وشك في ولادته(عليه السلام) فمن الطبيعي أن لا يحصل بحث وسؤال وتتبع لوجود الإمام(عليه السلام) أو ولادته. وكان يساعد الإمام العسكري(عليه السلام) على إخفاء ولادة الإمام المهدي(عليه السلام) - مساعدة كبرى - تطبيقه لسياسة الاحتجاب على نفسه، وانقطاعه عن أصحابه ومواليه إلا بواسطة المراسلات، حيث استطاع(عليه السلام) بذلك تحقيق نتيجتين أساسيتين:

- ١ - تعويد قواعده الشعبية على فكرة الاحتجاب والقيادة غير المباشرة.
 - ٢ - إحاطة تحرّكه بالكتمان والسرية التامة، واستقطاب المهام التي كانت تحتاج تدخّله ورأيه(عليه السلام) بشكل منفرد وبعيد عن الانتباه، وتسليط الأضواء بعيدة عن رقابة الدولة وعيونها لأنه سوف لا يطلّع على تحرّكه بهذا الخصوص إلا من له صلة بهذا التحرك.
- كما كان للظروف غير الطبيعية التي تمرّ بها الدولة آنذاك دور مساعد في عملية إخفاء الولادة حيث كانت الدولة توجّه أنظارها الى صاحب الزنج الذي انتفض في جنوب العراق والأهواز في نفس عام ميلاد الإمام الحجة(عليه السلام)(٢٥٥هـ) والمنتبّع للتاريخ العام يعرف ما أوجده صاحب الزنج من فزع وقلق في أذهان الناس عامّة ولجهاز الحاكم خاصة^(١٠٥).
- وحتى عام (٢٥٨هـ) الذي أوكل فيه المعتمد قتال صاحب الزنج وسواه الى أخيه أبي أحمد الموفق لم يكن قد ثار حول ولادة الإمام(عليه السلام) أي إحساس والتفات أو شك من قبل المجتمع والدولة نتيجة لتلك الظروف، وقد استطاع الإمام العسكري(عليه السلام) أن يضمن حماية ولده المهدي(عليه السلام) من الجهاز الحاكم ومن عيونه، وبذلك قام بالوظيفة الثانية خير قيام.

أما بالنسبة للوظيفة الأولى للإمام العسكري(عليه السلام)، وهي إثبات وجود المهدي(عليه السلام) للتأريخ والأمة الإسلامية عامة ولمواليه خاصة... وفي مثل تلك الظروف التي عاشها الإمام العسكري(عليه السلام) كان لابد أن يختصّ التبليغ بوجوده ورؤيته بالأشخاص الذين يعلم بصلاية إرادتهم وقوّة إيمانهم بقيادة الأئمة(عليهم السلام)- فضلاً عن إطمئنان الإمام(عليه السلام) الى صلابتهم وقوّة إرادتهم في الصمود تجاه إغراء واضطهاد السلطة الحاكمة - وكان بهذه الطريقة قد تمكن من كتمان ولادته(عليه السلام) وحجبها عن غير مواليه بل حتى عن جمهور الموالين ممّن لا يحرز فيه الحفاظ على سرية الولادة وكتمانها، عندما يتعرّض الى الاضطهاد والمطاردة من قبل السلطة.

(١٠٤) كمال الدين: ٦٣٦/١.

(١٠٥) تاريخ الطبري ج٧، أحداث عام ٢٥٥ هـ وما بعدها.

وكان الإمام العسكري(عليه السلام) عندما يخبر أو يُطلع أحداً على المولود المبارك يُلزمه بأن يكتُم خبره ولا يذكر اسمه^(١٠٦).

سادساً: الإمام(عليه السلام) والسلطة العباسية

كان القبض على الإمام المهدي(عليه السلام) أحد الأهداف الكبرى للدولة، حيث أنها تعلم ما في كيانه من ضعف وانحراف. وتعلم أن المهدي(عليه السلام) هو المذخور لرفع الظلم والجور عن الإنسانية، إذن وجوده يعتبر تهديداً لكيان الدولة العباسية الظالمة. ولم تكن الدولة تعلم أنه سيتأخر ظهوره، فإن من مميزات ظهور الإمام المهدي(عليه السلام) كونه محتمل الظهور في كل وقت، لكي يخافه كل ظالم ويخشاه كل منحرف. وقد قامت السلطة العباسية بثلاث حملات للقبض عليه، إحداها قام بها المعتمد في الفترة المتأخرة عن وفاة الإمام العسكري(عليه السلام) والأخريان قام بهما المعتضد الذي تولى الحكم بعده. وأما الخلفاء المتأخرون فلم ينقل عنهم ذلك، ولعلمهم كانوا قد يؤسوا من ذلك يأساً تاماً. وقد انشغلت الدولة بحرب صاحب الزنج وغيره، ممّا أوجب انحراف السلطات عن أن تجرّد حملات أخرى للكبس والتفتيش عن الإمام، أثناء خلافة المعتمد، وهي التسعة عشر عاماً التي قضاها في الحكم بعد وفاة الإمام العسكري(عليه السلام). إلا أن التجسس المستمر والرصد الدائم من قبل السلطات، كان قائماً على قدم وساق، ومستمراً خلال ذلك الزمان، وكان يجابهه بأساليب السريّة والكتمان للمضاعفة التي كان السفيران الأوّلان يقومان بها في هذه الفترة الصعبة من الغيبة الصغرى. بما في ذلك تحريم التصريح باسمه والدلالة على مكانه. إلا لمن امتحن الله قلبه للإيمان. وفي خلال هذه الأعوام التسعة عشر، كان التجسس قد أنتج شيئاً مهماً بالنسبة للدولة. وهو ثبوت فكرة السفارة لديها، بعد ثبوت وجود الإمام(عليه السلام) وأن هناك من يدّعي السفارة عن الإمام المهدي(عليه السلام) ويقبض المال بالوكالة عنه^(١٠٧) إذن فهو موجود. ليس هذا فقط، بل يقود قواعده الشعبية ويقبض الأموال منهم. وهذه كانت من أعظم مهامّ المعتضد عند تولّيه للخلافة أن يجدد الحملات للقبض على الإمام المهدي(عليه السلام). انظر الى مقدار ما أتت به أخبار التجسس، انه يعلم بدار المهدي(عليه السلام) وهي دار أبيه وهولا يحاول أن يرى المهدي(عليه السلام) أو أن يكلمه، وإنّما يأمر بقتله وحمل رأسه إليه، وبذلك يتحقّق الهدف الأعلى لكيان الدولة المتسلّط.

(١٠٦) الغيبة، الطوسي: ٢١٥ ومابعدها.

(١٠٧) إعلام الوري: ٤٢١.

والخليفة لا يعين شخصاً أو اسماً معيناً. بل يغمض عن هذه الناحية لأنه يريد أن يبقى هذا الأمر خفياً حتى على هؤلاء القائمين بالعملية، ولا يهّمه بعد ذلك أن يقتلوا شخصاً غير المهدي ويأتوه برأسه. فحسبه أنه قام بالمحاولة. ويتوخّى المعتضد من هذا الغموض أهدافاً:

الأول: عدم إثارة مسألة المهدي (عليه السلام) أمام هؤلاء الجلاوزة.

الثاني: عدم كشف مهمتهم الحقيقية أمامهم، محافظة على سمعته وسمعة الدولة فإنهم إن عرفوا أن المعتضد يكلفهم القبض على المهدي (عليه السلام). أمكن تسرب الخبر الى المجتمع، فيترتب على ذلك، ما لا يحمد للمعتضد عقباه.

الثالث: عدم كشف مهمتهم الحقيقية أمامهم للمحافظة على سرية المطلوب، حتى عن خاصة رجال الدولة، وجهاز استخباراتها، فإن الأمر أهم وأدق من أن يعرفه الناس.

وبدأت الحملة كما أمر المعتضد، وتوجّه ثلاثة أشخاص الى سامراء، وبحثوا عن الدار، فوجدوها كما وصفها لهم المعتضد، ورأوا في الدهليز خادماً أسود وفي يده تكة ينسجها. فسألوه عن الدار ومن فيها. فقال: صاحبها. قال رشيق الذي هو قائد حملة الاغتيال: فوالله ما التفت إلينا وقلّ اكتراته بنا.

ثم إنهم استمروا في مهمتهم، فكبسوا الدار وتجنّسوا خلالها فوجدوا غرفة سرية وعليها ستر جميل جديد.

ولم يكن في الدار أحد، فرفعوا الستر، فرأوا بيتاً كبيراً كأنه بحر فيه ماء. وفي أقصى البيت حصير يبدو كأنه على الماء. وفوقه رجل من أحسن الناس هيئة، قائم يصلي. وبقي مشتغلاً بصلاته متوجهاً الى ربّه لم يلتفت إليهم، كأنه لم يره ولم يسمعهم.

فسبق أحد الرجلين اللذين كانا مع رشيق ليتخطى البيت، فغرق في الماء، ومازال يضطرب حتى أنقذه صاحبه وأخرجاه مغشياً عليه وبقي ساعة. ثم همّ الرجل الآخر أن يتخطى البيت فغرق في الماء أيضاً. فأصابه ما أصاب صاحبه.

فبقي رشيق وحده وهو قائد الحملة، مبهوتاً واجماً، وآيس من تحقيق الغرض، وأراد أن يلطف من خاطر هذا المصلي ويزيل ما يكون قد علق بذهنه من هذه الحملة، فتوجّه إليه قائلاً: المعذرة الى الله وإليك فوالله ما علمت كيف الخبر ولا إلى من أجيء. وأنا تائب الى الله. قال رشيق: فوالله ما التفت الى شيء. وما انتقل عما كان فيه فهالنا ذلك، وانصرفنا عنه.

أنظر الرعاية الإلهية وكيف انتصر المهدي (عليه السلام) على هؤلاء الجلاوزة المنحرفين وكيف استطاع أن يؤثر الرعب الذي هو كرامة له من الله سبحانه وتعالى.

وحين آيس رشيق من بلوغ الغرض، وذاق صاحباه الغرق والعذاب، اضطرّ الى الانصياع للتحدي واعترف بالعجز. إنه لم يتوقع شيئاً ممّا رآه، فضلاً عن كل ما رآه، ولم يعلم إلا أن المعتضد أرسله الى شخص ما ليقبض عليه. إنه يواجه الهول والتحدي الصريح الأوّل في حياته، بشكل لا يجد حيلة، ولا يعرف إلى تذليله طريقاً.

إذن، فلصاحب هذا البيت شأن غير اعتيادي، شأن أعلى من القوى الاعتيادية التي يعرفها رشيق. والمعتضد إنّما أغمض له لاشك لسبب في نفسه.. إذ لعله يعرف شأن صاحب هذا البيت على الإجمال. إنه هو الذي أوقعه في هذا الهول والتحدي بالرغم من أن التحدي في واقعه متوجّه الى المعتضد نفسه أكثر ممّا هو متوجه الى رشيق. فينبغي التخلّص من المسألة، وإلقاء المسؤولية كلّها على كاهل المعتضد، والاعتذار من صاحب الدار، ذي الشأن المجهول الرهيب.

وصحب هؤلاء الجالوزة هول في داخل قلوبهم، وتوجّهوا توجّهاً الى بغداد، ليحملوا هذا الخبر العجيب الرهيب الى المعتضد. وكان المعتضد ينتظرهم، وقد أمر الحجاب والحرس على أن يدخل هذا الوفد عليه في أي وقت كان، ليلاً أو نهاراً. فإن مهمتهم أعمق وأعقد من أن تحتل التأجيل.

ودخل عليه الوفد وهو يحمل هولة بين جنبيه، ونقل له الحكاية كما وقعت. فقال: ويحكم لقيكم أحد قبلي جرى منكم الى أحد سبب أو قول؟ فقالوا: لا. فقال: أنا نفيّ من جدّي - أي ليس من بني العباس - وحلف بأشد أيمان له، أنّه إذا بلغه أنّهم أخبروا أحداً بهذا الخبر ليضربنّ أعناقهم. قال رشيق: فما جسرنا أن نحدّث به إلا بعد موت المعتضد.

إذن يعرف المعتضد ذلك جيّداً، ولكنّه يخاف منه على حاشيته وأساس ملكه. إنّ هؤلاء الثلاثة بالرغم من أنّه حاول الإغماض عليهم في كلامه، قد اطلّعوا على الحقيقة وواجهوا الحق، حتى اضطرّ رشيق الى التنازل والتوبة. إلا أنّه لا ينبغي أن يكون الناس الآخرون كرشيق عارفين بالحق أو منصاعين له ومن ثم نراه يحلف لهم بأغظ الأيمان ويهدّدهم بالقتل، إن بلغه أنّهم أخبروا أحداً بذلك. فلم يجسروا أن يخبروا به إلا بعد موته. فإنّ أيمانه وتهديده إنّما يكون رسمياً في حال حياته لا بعد موته.

وظنّ المعتضد، أن هذه الحملة، إنّما فشلت باعتبار قلة العدد وباعتبار سرية التخطيط والتنفيذ، فلا أقل من احتمال نجاح الحملة لوكثر العدد وانكشف الغرض ولم يستطع أولم يرد أن يفهم أن هذا العقل الذي تحدّاه مرة واحدة، يمكنه أن يتحدّاه عشرات المرات، ولن تستطيع أي قوة في البشر أن تسيطر أو تقضي عليه.

ومن هنا جرّب حملة أكبر، وبعث عدداً أكثر، وأتبعه بجيش كبير. فانظر الى هذا الجبن أمام فرد واحد، والفرع الذي تتّصف به الدولة تجاه هذا الأمر العظيم.

وينبغي في هذا الصدد أن نذكر الرواية بنصّها^(١٠٨) قال الراوي:

ثم بعثوا عسكرياً أكثر، فلمّا دخلوا الدار سمعوا من السرداب قراءة القرآن فاجتمعوا على بابه وحفظوه حتى لا يصعد ولا يخرج. وأميرهم - يعني قائد الحملة - قائم يصل^(١٠٩) العسكر كلهم. فخرج من السكة التي على باب السرداب، ومرّ عليهم. فلما غاب، قال الأمير: انزلوا عليه. فقالوا: أليس هو الذي مرّ عليك؟ فقال: ما رأيته قال: ولم تركتموه؟ قالوا: إنّنا حسبنا أنّك تراه. إنّّه يقرأ القرآن.

إنّ القرآن الكريم هو حلقة الوصل بين جميع الفئات الإسلامية، والعلامة الرئيسية لتمسّك الفرد بالإسلام، فالمهدي (عليه السلام) يريد أن يفهمهم ضمناً - لو كانوا يفهمون - حرمة الاعتداء عليه وقتله، باعتباره مؤمناً بالقرآن الذي تعترف السلطات بقدسيته في ظاهر سلوكها.

ومن طريف حال هؤلاء الجلاوزة، انهم لم يبادروا للقبض على الإمام (عليه السلام)، بل وقفوا على باب السرداب وعن اقتحامه. إنّهم يخافون مواجهة المهدي (عليه السلام) ويحتاجون الى مدد أكبر وعدد أكثر. فهم منتظرون لوصول المدد من بغداد الى سامراء.

وفي هذه الأثناء استغلّ الإمام المهدي (عليه السلام) أروع لحظة من لحظات ذلك الحصار، لحظة اقترنت بالدقة في التوقيت والضبط في التدبير والعناية الإلهية التي ترعاه. إنّها لحظة غفلة قائد الحملة عن الترسّد والانتباه. لحظة لم يأت فيها المدد، ولم تصدر الأوامر بعد باقتحام المكان.

وهنا خرج إمامهم من السرداب ومرّ على قائد الحملة ولم يشاهده، وأختفى حيث لا يمكن أن يصل إليه هذا الجيش. وهكذا تضافرت هذه الأمور لكي تنتج النتيجة الكبرى ولكي ينفذ المخطط الإلهي العظيم لإنقاذ مستقبل البشرية بالإمام المهدي (عليه السلام) من الظلم والجور^(١١٠)

سابعاً: الكيان الشيعي

يستفاد من الروايات الواردة بشأن سيرة الإمام (عليه السلام) خلال فترة الغيبة الصغرى أن جهوده ورعايته لم تقتصر على سفرائه بل كان الإمام يسعى لحفظ سائر المؤمنين من الاضطهاد والظلم العباسي متخذاً سبيل آبائه (عليهم السلام) .

(١٠٨) بحار الأنوار: ١٣/١١٨.

(١٠٩) في المصدر: يصلي وهو خطأ مطبعي لا محالة.

(١١٠) تاريخ الإسلام، السيد منذر الحكيم: ١٤٧/٤ .

فقد روى الشيخ الكليني (رضي الله عنه) في الكافي «عن علي بن محمد قال: خرج نهي عن زيارة مقابر قریش والحيرة فلما كان بعد أشهر دعا الوزير الباقر فقال له: الق كل من بين الفرات والبرسين وقل لهم لا يزوروا مقابر قریش فقد أمر الخليفة أن يتفقد كل من زار فيقبض عليه» (١١١) .

كما إن الإمام (عليه السلام) منع وكلاءه من استلام الأموال من قواعده، عندما أمر الخليفة بأن ترسل إليهم أموال بيد أشخاص لا يعرفونهم، كي يقبضوا على الذين يستلمون المال، لما بلغه وجود الإمام،

وأنه تجبى إليه الأموال عن طريق وزير الخليفة - عبدالله بن سليمان - (١١٢) .

كما شملت هذه الرعاية قضاء حوائج المؤمنين الشخصية والاجتماعية والإصلاح بينهم وحل مشاكلهم المختلفة الفكرية وغيرها مما نقلته لنا المصادر التاريخية في هذه الفترة .

فضلاً عن مواقفه (عليه السلام) في كشف الانحرافات العقائدية، وإفشال انتحال السفارة من مدعي السفارة والإمامة.

فكانت التوقيعات الشريفة والرسائل الصادرة عن الإمام (عليه السلام) في مرحلة الغيبة الصغرى هي أحد أهم أنشطته في الغيبة الصغرى وتعدّ أحد مصادر تأريخ هذه الفترة (١١٣) .

(١١١) الكافي: ٤٤١/١ .

(١١٢) الكافي، ج ٢، ص ٤٤٠ .

(١١٣) الغيبة الصغرى: ٣٦٧ وما بعدها .

الفصل السادس

النواب الأربعة في الغيبة الصغرى

ومن الأدلة التي تثبت ولادته وحياته (عليه السلام) مع النواب والتي امتدت الى ما يقارب السبعين عاماً تقريباً وكانت حافلة بالنشاطات الاسلامية وكان (عليه السلام) يجيب فيها على الاسئلة التي ترد عليه من مواليه وأتباعه بالإضافة الى حله للمشكلات التي تعترض حياتهم الفكرية أو الاجتماعية أو السياسية وقد اتسمت حياته فيها بجملة من المميزات تثبت ارتباط نوابه الأربعة بشخصه الشريف على ما سنبينه في الفقرات التالية من البحث.

ولا مجال للشك - لدى الأمة - في المكانة الرفيعة لهؤلاء النواب:

أولاً: لأنهم معروفون عندها علماء، وثقيّ، وورعاً، وأمانةً، وقرباً من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) والنيابة الخاصة، ولا سيما عن الإمام المهدي (عليه السلام) إشارة واضحة إلى ذلك بحكم ما تقتضيه الظروف الخاصة التي حتمت غيبته من دقة في اختيار نائبه من كل ناحية بما فيها قدرته على حفظ سرّ الإمام (عليه السلام) في جميع الأحوال المفترضة، وإمكانيته على التعامل بالصورة التي يكون فيها - في هذا الغياب - وجهاً له.

وكان العلماء يدركون تميزهم في هذه الصفة أو تلك دونهم، فحين سأل بعضهم الشيخ الجليل أبا سهل النوبختي، (رحمه الله)، كيف صار هذا الأمر إلى أبي القاسم الحسين بن روح دونك؟ أجابه: هم أعلم وما اختاروا، ولكن أنا رجل ألقى الخصوم وأناظرهم، ولو علمت بمكانه - كما علم أبو القاسم - وضغطتني الحجة (أو الحاجة) على مكانه، لعلي كنت أدل على مكانه، وأبو القاسم لو كان الحجة تحت ذيله، وقرض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه^(١٤).

ثانياً: ولأنهم كانوا موثقين من الأئمة (عليهم السلام) ومنصوصاً عليهم كوكلاء عنهم (عليهم السلام)، فالأول من هؤلاء النواب كان نائباً للإمام الجواد (عليه السلام) قبل أن يكون نائباً للمهدي (عليه السلام) - كما ذكر بعضهم - ثم الإمام الهادي (عليه السلام) والإمام الحسن العسكري (عليه السلام).

السلام)، أما الثاني وهو ابن الأول ومشاركه في الوقت نفسه في هذه النيابة في حياة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) فقد كان مزكياً من الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) ومشاراً إليه من قبله على أنه وكيل للإمام المهدي (عليه السلام) بعد ذلك، ثم نصبه الإمام المهدي (عليه السلام) عن طريق أبيه.

ووثق الثالث ونصب وكيلاً من قبل الإمام المهدي (عليه السلام) عن طريق الثاني. والرابع كذلك من قبله (عليه السلام) عن طريق الثالث.

ثالثاً: كانت أجوبة الإمام المهدي (عليه السلام) تصدر على يد كل واحد من هؤلاء النواب من الأول حتى الرابع بالخط نفسه المعروف للإمام المهدي (عليه السلام) - لدى بعض الأمة - من دون تغيير وبالدرجة نفسها من حيث الأسلوب والمضمون، وهي الآية - التي ذكرها بعضهم - وهو يشير الى وحدة الجهة التي يصدر عنها النواب كما سيأتي.

رابعاً: أظهر الإمام (عليه السلام) على يد كل واحد منهم من الكرامات المعجزة ما أعطى دليلاً مضافاً على حقيقة صلتهم به - فهي لهم بهذه الصلة لا غيرها - لذلك كانت إشارة له لا لهم مع مالهم من المحل العظيم، والمكانة المرموقة بهذه الكرامات وبغيرها.

وقد روى الشيخ الصدوق، (رحمه الله)، عدداً منها^(١١٥)، وروى شيئاً من ذلك الشيخ الطوسي^(١١٦).

قال الشيخ النعماني تلميذ الشيخ الكليني وكاتبه، وهو يتحدث عن الغيبة القصيرة في كتابه «الغيبة» الذي ألفه قبل سنة (٣٣٦ هـ)، كما تشير إلى ذلك مقدمته:

«كانت السفراء فيها بين الإمام (عليه السلام) وبين الخلق قياماً منصوبين ظاهرين موجودي الأشخاص والأعيان» الى أن يقول: «يخرج على أيديهم الشفاء من العلم، وعويص الحكم والإجابة على كل ما يُسأل عنه من المعضلات والمشكلات»^(١١٧).

النائب الأول

الشيخ أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري الأسدي، يُكنى بأبي عمرو، ويُلقب بالسَّمَان والزِّيَات لأنه كان يتجر بالسمن، وبالعسكري لأنه كان يسكن العسكر (سامراء).

ويذكر ابن شهر آشوب المتوفى سنة (٥٨٨ هـ) أنه كان باباً لأبي جعفر محمد بن علي التقي (عليه السلام)^(١١٨).

(١١٥) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص ٤٦٩ - ٤٨٣.

(١١٦) الطوسي، الغيبة، ص ٢٢١ - ٢٢٣.

(١١٧) الغيبة للنعماني، ص ٩١.

(١١٨) ابن شهر آشوب، المناقب، ج ٤، إمامة الإمام الجواد (عليه السلام) : ٤٦٩ - ٤٨٣.

ومثل ذلك العلامة الحلي، فقد عدّه من أصحاب الإمام الجواد (عليه السلام)، قال: خدمه وله إحدى عشرة سنة وله إليه عهد معروف^(١١٩).

الشيخ الطوسي (رحمه الله) في رجاله^(١٢٠) ذكر أنه كان من أصحاب الإمام الهادي (عليه السلام)، وأن التحاقه - بهذه السن (إحدى عشرة سنة) - به كان ولخدمته، وأن العهد المعروف كان منه (عليه السلام) ثم ذكره في أصحاب ابنه العسكري^(١٢١).

روى الشيخ الطوسي (رحمه الله) بسنده عن أحمد بن إسحاق بن سعد قال: دخلت على أبي الحسن علي بن محمد صلوات الله عليه في يوم من الأيام فقلت: ياسيدي، أنا أغيب، وأشهد، ولا يتهياً لي الوصول إليك إذا شهدت في كل وقت، فقول من نقبل؟ وأمر من نمثل؟ فقال لي صلوات الله عليه: هذا أبو عمرو الثقة الأمين ما قاله لكم فعني يقوله وما أداه إليكم فعني يؤديه.

وشهد الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) بأنه (رحمه الله) كان ثقة الإمام الهادي (عليه السلام)، قال أحمد بن إسحاق وهو يواصل الحديث السابق:

فلما مضى أبو الحسن (عليه السلام)، وصلت إلى أبي محمد ابنه الحسن العسكري (عليه السلام) ذات يوم، فقلت له مثل قلتي لأبيه (عليه السلام)، فقال لي: «هذا أبو عمرو الثقة الأمين ثقة الماضي، وثقتي في المحيا

والممات، فما قاله لكم فعني يقوله، وما أدى إليكم

فعني يؤديه»^(١٢٢).

وروى أيضاً عن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري البزار عن جماعة من الشيعة - ذكرناهم في الرواية السادسة عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) - أن الإمام العسكري أنذرهم بعد أن أراهم ولده المهدي (عليه السلام) بأنهم لا يرونه بعد يومهم ذاك وقال:

فاقبلوا من عثمان ما يقوله، وانتهوا إلى أمره، واقبلوا قوله فهو خليفة إمامكم والأمر إليه^(١٢٣).

وفي كتاب الإمام أبي محمد الحسن العسكري (عليه السلام) إلى إسحاق ابن إسماعيل النيسابوري، قال الإمام (عليه السلام) في آخر الكتاب: «فلا تخرجن من البلد حتى تلقى العمري رضي الله عنه برضائي عنه

(١١٩) الخلاصة، الباب ٨، القسم الأول من حرف العين، نقل عنه السيد الخوئي، معجم رجال الحديث، ج ١١، ص ١٢٠، ط ١.

(١٢٠) رجال الطوسي، ص ٢٤٠، ط ١، النجف.

(١٢١) المصدر السابق: ٤٣٤.

(١٢٢) الطوسي، الغيبة، ص ٢١٥، المجلسي، البحار، ج ٥١، ص ٣٤٤، السيد الخوئي، معجم رجال الحديث، ج ١١، ص ١٢٠، ط ١.

(١٢٣) الغيبة، الطوسي: ٢١٧.

فتسلم عليه، وتعرفه، ويعرفك، فإنه الطاهر الأمين العفيف القريب

منا وإلينا، فكل ما يحمله إلينا من النواحي فإليه يصير آخر أمره ليوصل ذلك إلينا»^(١٢٤).

وبالإسناد عن عبدالله بن جعفر الحميري قال: اجتمعت أنا والشيخ أبو عمرو عند أحمد بن

إسحاق بن سعد الأشعري فغمزني أحمد أن أسأله عن الخلف (عليه السلام) فقلت له:

«يا أبا عمرو إني أريد أن أسألك وما أنا بشك في ما أريد أن أسألك عنه، فإن اعتقادي

وديني: إن الأرض لا تخلو من حجة إلا إذا كان قبل يوم القيامة بأربعين يوماً. فإن كان ذلك

وقعت الحجة، وأغلق باب التوبة فلم يكن ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في

إيمانها خيراً.. إلى أن قال: ولكن أحببت أن أزداد يقيناً، فإن إبراهيم (عليه السلام) سأل ربه أن

يُريه كيف يحيي الموتى، فقال: (أولم تؤمن قال بلى ولكن ليُطمئن قلبي)^(١٢٥).

ثم قال الحميري وهو يكلم أبا عمرو: «وأخبرني أبو علي أنه سأل أبا محمد الحسن بن

علي (عليه السلام) عن مثل ذلك فقال له: العمري وابنه ثقتان، فما أديا إليك فعني يؤديان، وما قال لك فعني

يقولان، فاسمع لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان.

فهذا قول إمامين قد مضيا فيك.

قال: فخر أبو عمرو ساجداً وبكى، ثم قال: سل.

فقلت له: أنت رأيت الخلف من أبي محمد (عليهما السلام)؟ فقال: إي والله، ورقبته مثل ذا...

وأوماً بيديه^(١٢٦).

قلت له: فبقيت واحدة، فقال لي: هات.

قلت: فالاسم.

قال (رحمه الله): مُحَرَّم عليكم أن تسألوا عن ذلك، ولا أقول هذا من عندي، وليس لي أن

أحل وأحرّم، ولكن عنه (عليه السلام)، وفسّر لهم حكمة ذلك قائلاً: (فإن الأمر عند السلطان، إن

أبا محمد (عليه السلام) مضى ولم يخلف ولداً وقسم ميراثه وأخذه من لا حق له - يعني جعفرأ

الكذاب - وصبر على ذلك. وهو ذا عيال يجولون وليس أحد يجسر أن يتعرف إليهم، أو

ينيلهم شيئاً، وإذا وقع الاسم وقع الطلب، فاتقوا الله، وأمسكوا عن ذلك)^(١٢٧)^(١٢٨).

(١٢٤) رجال الكشي، ص ٤٨٥، ط ١، النجف.

(١٢٥) البقرة: ٢٦٠.

(١٢٦) قال المجلسي، رحمه الله، ص ٣٤٥ من م ٥١: أغلظ الرقاب حسناً وتاماً، ويبدو لي أنه يريد نفي ما في أذهان الناس من عدم وجوده أو موته وأنه حي، وهو تعبير شعبي ما زال مستعملاً لتأكيد حياة من يتوهم موته.

(١٢٧) الطوسي، الغيبة، ص ٢١٨ و ٢١٩، وفي ص ١٤٦، والمجلسي، البحار، ج ٥١، ص ٣٤٥.

(١٢٨) هذه الرواية تؤكد ما أشرنا إليه من أن هذا التحريم لا يتناول ما وراء الغيبة الصغرى. وفي المعنى نفسه ورد إلى محمد بن عثمان العمري رحمه الله توقيع من الإمام (عليه السلام) ابتداء، وفيه يقول: ليخبر الذين يسألون عن الاسم إما السكوت والجنة وإما

ماورد من التوقيعات

ورد عن كل واحد من النواب - أمثلة كافية كالتى ذكرها الشيخ الصدوق (رحمه الله) المتوفى سنة (٣٨١ هـ)^(١٢٩) والشيخ الطوسي (رحمه الله) المتوفى سنة (٤٦٠ هـ)^(١٣٠) والشيخ الطبرسي (رحمه الله) المتوفى بداية القرن (٦ هـ)^(١٣١) والشيخ المجلسي المتوفى سنة (١١١١ هـ). في كتبهم المشار إليها في الهامش^(١٣٢).

روى الشيخ العمري الكبير أبو عمرو عثمان بن سعيد (رضوان الله عليه) قال: تشاجر ابن أبي غانم القزويني وجماعة من الشيعة في (الخلف) فذكر ابن أبي غانم أن أبا محمد (عليه السلام) مضى، ولا خلف له.

ثم إنهم كتبوا في ذلك كتاباً وأنفذوه الى الناحية، واعلموه بما تشاجروا فيه، فورد جواب كتابهم بخطه صلى الله عليه وعلى آبائه:

بسم الله الرحمن الرحيم

عافانا الله وإياكم من الفتن، ووهب لنا ولكم روح اليقين،
وأجارنا وإياكم من سوء المنقلب، إنه أنهى إليّ ارتياب جماعة
منكم في الدين، وما دخلهم من الشك، والحيرة في ولاية أمرهم
فغمنا ذلك لكم لا لنا، وساءنا فيكم لا فينا، لأن الله معنا فلا فاقة بنا
إلى أحد غيره، والحق معنا فلن يوحشنا من قعد عنا (ونحن صنايع
ربنا والخلق بعد صنايعنا).

يا هؤلاء، ما لكم في الريب تترددون، وفي الحيرة تنعكسون،
أو ما سمعتم الله يقول: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)^(١٣٣) أو ما علمتم ما جاءت به الآثار مما يكون،
ويحدث في أئمتكم، على الماضين والباقيين منهم السلام، أو ما

الكلام والنار، فإنهم إن وقفوا على الاسم أذاعوه، وإن وقفوا على المكان دلوا عليه. راجع: البحار، ج ٥١، ص ٣٥١. وهناك روايات أخرى يفاد منها أن التحريم يرتبط بظروف التقية وجوداً وغاية (الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص ٤٥٠ و ٤٥١).
(١٢٩) في كتابه: كمال الدين وتمام النعمة، ص ٤٥٠ - ٤٨٦، ط ١، النجف.
(١٣٠) في كتابه، الغيبة، ص ١٧٧ - ١٩٩، ولدى حديثه عن النواب الممدوحين في ص ٢١٤ وما بعدها، وذكر في ص ٢٨٨ وما بعدها صورة لبعض توقيعات الإمام (عليه السلام).
(١٣١) في كتابه: الاحتجاج، ص ٢٧٧ - ٣٢٥، ط. دار النعمان - بيروت.
(١٣٢) في البحار، ج ٥١، لدى حديثه عن سفراء الإمام (عليه السلام)، وفي ج ٥٣، باب (ما خرج من توقيعاته)، ص ١٥٠ - ١٩٨.
(١٣٣) النساء: ٥٩.

رأيتم كيف جعل الله لكم معاقل تأوون إليها، وأعلاماً تهتدون بها من لدن آدم إلى أن ظهر الماضي (عليه السلام) كما غاب علم بدأ علم، وإذا أفل نجم طلع نجم، فلما قبضه الله إليه ظننتم أن الله أبطل دينه، وقطع السبب بينه، وبين خلقه، كلا ما كان ذلك ولا يكون حتى تقوم الساعة، ويظهر أمر الله وهم كارهون.

وأن الماضي (عليه السلام) مضى سعيداً فقيداً على منهاج آباءه (عليهم السلام) حذو النعل بالنعل، وفينا وصيته وعلمه ومنه خلفه ومن يسدّ مسدّه، ولا ينازعنا موضعه إلا ظالم آثم، ولا يدعيه دوننا إلا كافر جاحد، ولولا أن أمر الله لا يغلب، وسره لا يظهر، ولا يعلن، لظهر لكم من حقنا ما تهتز منه عقولكم، ويزيل شكوككم، ولكنه ما شاء الله كان، ولكل أجل كتاب. فاتقوا الله، وسلّموا لنا، وردوا الأمر إلينا. فعلينا الإصدار كما كان منا الإيراد، ولا تحاولوا كشف ما غطي عنكم، ولا تميلوا عن اليمين، وتعدّلوا إلى اليسار، واجعلوا قصدكم إلينا بالمودة على السنّة الواضحة، فقد نصحت لكم، والله شاهد عليّ وعليكم، ولولا ما عندنا من محبة صاحبكم، والرحمة بكم، والإشفاق عليكم، لكنا ولادة الإمام المهدي (عليه السلام)

عن مخاطبتكم في شغل في ماقد امتحنا به من منازعة الظالم العتل الضال المتتابع في غيّه المضاد لربه المدعي ما ليس له الجاحد حقّ من افترض الله طاعته الظالم الغاصب. وفي ابنة رسول الله لي أسوة حسنة وسيردي الجاهل رداة عمله. وسيعلم الكافرون لمن عقبى الدار. عصمنا الله وإياكم من المهالك والأهواء، والآفات والعاهات، كلها برحمته فإنه ولي ذلك، والقادر على ما يشاء. وكان لنا ولكم ولياً وحافظاً.

والسلام على جميع الأوصياء والأولياء والمؤمنين، ورحمة الله وبركاته، وصلى الله على محمد وآله وسلّم تسليماً (١٣٤).

النائب الثاني

أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري المتوفى سنة (٣٠٤ أو ٣٠٥ هـ) رضوان الله عليه.

ولادة الإمام المهدي (عليه السلام)

عن أبي نصر هبة الله بن أحمد الكاتب قال:

«كانت توقيعات صاحب الأمر (عليه السلام) تخرج على يدي عثمان ابن سعيد وابنه أبي جعفر محمد بن عثمان إلى شيعته، وخواص أبيه أبي محمد (عليه السلام) بالأمر والنهي، والأجوبة عما تسأل الشيعة عنه إذا احتاجت إلى سؤال فيه، بالخط الذي كان يخرج في حياة الحسن (عليه السلام)، فلم تزل الشيعة مقيمة على عدالتهما إلى أن توفي عثمان... وحصل الأمر كله مردوداً إليه والشيعة مجتمعة على عدالته، والثقة به، وأمانته لما تقدم له من النص عليه بالأمانة، والعدالة، والأمر بالرجوع إليه في حياة الحسن (عليه السلام) وبعد موته في حياة أبيه عثمان رحمة الله عليه»^(١٣٥).

روي مسنداً عن محمد بن إبراهيم بن مهزيار^(١٣٦) أنه خرج إليه بعد وفاة أبي عمرو (عثمان بن سعيد) (رحمه الله) من الإمام المهدي (عليه السلام) توقيع جاء فيه: «والابن وقاه الله لم يزل ثقتنا في حياة الأب

(رضي الله عنه، وأرضاه ونصر وجهه) يجري عندنا مجراه، ويسد مسدّه، وعن أمرنا يأمر الابن وبه يعمل تولاه الله! فانتبه إلى قوله، وعرف معاملتنا ذلك»^(١٣٧).

وروي أيضاً مسنداً عن محمد بن يعقوب عن إسحاق بن يعقوب أنه تلقى التوقيع بخط مولانا صاحب الدار (عليه السلام)، وفيه: «وأما محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه وعن أبيه من قبل فإنه ثقتي وكتابه كتابي»^(١٣٨).

وبالإسناد إلى عبدالله بن جعفر الحميري قال:

لما مضى أبو عمرو (رضي الله عنه) أتتنا الكتب بالخط الذي كنا نكتب به (يعني من الإمام المهدي (عليه السلام)) بإقامة أبي جعفر رضي الله عنه مقامه^(١٣٩).

(١٣٥) الطوسي، الغيبة ص ٢٦١، والمجلسي، البحار، ج ٥١، ص ٣٤٦.

(١٣٦) ذكره الشيخ الطوسي في الرجال المسمى برجال الطوسي، ص ٤٣٦، ط ١، النجف، سنة ١٣٨١، من أصحاب الإمام العسكري (عليه السلام).

(١٣٧) الطوسي، الغيبة، ص ٢٢٠. المجلسي، البحار ج ٥١ ص ٣٤٩.

(١٣٨) الغيبة، الطوسي: ٢٢٠، بحار الأنوار، المجلسي، المصدر السابق ص ٣٥٠.

(١٣٩) الغيبة، الطوسي: ٢٢٠، بحار الأنوار، المجلسي، المصدر السابق ص ٣٤٩.

وجاء في رواية هبة الله عن شيوخه، وهم يتحدثون عن أبي جعفر العمري قولهم: «وقد نقلت عنه دلائل كثيرة، ومعجزات الإمام ظهرت على يديه، وأمور أخبرهم بها عنه»^(١٤٠) زادتهم في هذا الأمر بصيرة، وهي مشهورة عند الشيعة»^(١٤١).
وروى، مسنداً عن عبدالله بن جعفر الحميري، (رحمه الله)، أنه قال: سألت محمد بن عثمان (رضي الله عنه) فقلت له: هل رأيت صاحب هذا الأمر؟ قال: نعم، وآخر عهدي به عند بيت الله الحرام، وهو (عليه السلام) يقول: «اللهم أنجز لي ما وعدتني»^(١٤٢).
وقال (رضي الله عنه) في رواية أبي جعفر بن بابويه: «إن صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة يرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه»^(١٤٣).

ماورد عنه من التواقيع

امتدت نيابة أبي جعفر محمد بن عثمان العمري (رضوان الله عليه) للإمام (عليه السلام) زمناً طويلاً لم يحصل لأي واحد من النواب الآخرين. فقد تولى ذلك في حياة الإمام الحسن (عليه السلام) مع أبيه (رحمه الله) للإمام الحسن ثم المهدي (عليه السلام)، واستمر مع أبيه حتى توفي ثم قام بذلك منفرداً حتى وفاته سنة (٣٠٤ أو ٣٠٥ هـ)، وقد قدرُوا مدّة تولّيه للنيابة بنحو خمسين سنة^(١٤٤).

ولذلك، فمن المتوقع أن يكون ما جاء بوساطته من آثار الإمام (عليه السلام) وتوقيعاته كثيراً جداً، ولم يصلنا منه إلا القليل لما بيّناه من الأسباب. ومع ذلك فما أثر عنه (رحمه الله) أكثر مما هو عن غيره.
ومن الآثار المعروفة التي جاءت عن طريقه بعض الأدعية، كالدعاء الذي ورد في كتب الدعاء «أنه يقرأ في كل يوم من رجب»^(١٤٥)؛ وهو - كما يرى العارفون - من أهم الأدعية في مضامينه المعرفية المتصلة بولاية الخلق الأول، أي المبادئ الأولى القائمة بربها، والمقامة لما بعدها بحكم ما يقتضيه الخلق من سلسلة طويلة وأكوان متعددة تكون وسطاً وأسباباً لكون الكائن المركب»^(١٤٦).

(١٤٠) ذكر الشيخ الصدوق بعضاً منها في: كمال الدين وتمام النعمة، ص ٤٦٧ و ٤٦٩ و ٤٦٣ و ٤٥٣.

(١٤١) الغيبة، الطوسي: ٢٢١.

(١٤٢) الغيبة، الطوسي: ٢٢٢.

(١٤٣) المصدر السابق: ٢٢١.

(١٤٤) الغيبة، الطوسي: ٢٢٣.

(١٤٥) الكفعمي، المصباح، ص ٥٢٩، ط ٢، سنة ١٣٩٥ هـ، مؤسسة الأعلمي - بيروت.

(١٤٦) المجلسي، البحار: ١/ ١٠٣ و ١٠٤، وعدنان البكاء، المضمون المعرفي والأخلاقي في أدعية أهل البيت (عليهم السلام)، مخطوط.

وكدعاء الافتتاح المشهور الذي يقرأ في ليالي رمضان^(١٤٧)، ولا حاجة لبيان أنه من أهم الأدعية في لغته وأسلوبه ومضامينه العقائدية، فهذا الجانب ملحوظ لدى كل من قرأه، ولقد رأيت شخصاً غمرته روعة أسلوبه ومعانيه، وهو يقرؤه، فرفع رأسه قائلاً: كيف يقولون إنه غائب وهذا نوره يضيء قلوبنا وهذه أنفاسه تهزنا من العمق؟

وذكرت أدعية وزيارات أخرى نسبت إلى الإمام(عليه السلام) وأنها صدرت في زمن الشيخ (رحمه الله) يمكن من شاء مراجعتها والتأكد من نسبتها من مصادرها الخاصة، ككتب الأدعية والزيارات المعروفة، والكتب المؤلفة في الإمام(عليه السلام) ونوابه وما صدر عنهم.

ومن توقيعاته(عليه السلام) بوساطته مارواه محمد بن يعقوب الكليني عن إسحاق بن يعقوب قال: سألت محمد بن عثمان العمري(رحمه الله)، أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ، فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان(عليه السلام):

«أما ما سألت عنه، أرشدك الله وثبتك ووقاك أمر المنكرين

لي من أهل بيتنا، وبني عمنا، فاعلم أنه ليس بين الله عزّ وجلّ

وبين أحد قرابة، ومن أنكرني فليس مني وسبيله سبيل ابن نوح.

وأما سبيل عمي جعفر وولده فسبيل أخوة يوسف، وأما

الفقاع فشربه حرام ولا بأس بالشلماب.

وأما أموالكم فلا نقبلها إلا لتطهروا، فمن شاء فليصل ومن

شاء فليقطع، وما آتانا الله خير مما آتاكم.

وأما ظهور الفرج فإنه إلى الله، وكذب الوقاتون.

وأما قول من زعم أن الحسين(عليه السلام) لم يقتل فكفر وتكذيب

وضلال^(١٤٨).

وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم

حجتي عليكم، وأنا حجة الله.

وأما محمد بن عثمان العمري فرضي الله عنه وعن أبيه من قبل فإنه ثقتي وكتابه كتابي.

وأما محمد بن علي بن مهزيار الأهوازي فسيصلح الله قلبه، ويزيل

شكه..

وأما ما وصلتنا به فلا قبول عندنا إلا لما طاب وطهر، وثمن المغنية حرام^(١٤٩).

(١٤٧) حسين معتوق، منهج الدعوات، ص ٥٢، عباس الحسيني الكاشاني، مصباح الجنان، ص ٤٥٥، والشيخ عباس القمي، مفاتيح

الجنان، ص ١٧٩، والأخير لم يذكر نسبته للإمام المهدي(عليه السلام) ولا دعاء أبي جعفر العمري به.

(١٤٨) من مزارع الغلاة، لعنهم الله، بالنسبة للأئمة؛ ومنهم علي والحسين(عليهما السلام)، خلط بين ما أثبتته الله وأثبتوه(عليهم السلام)

تبعاً من الحياة الأخروية بالنسبة للشهداء والصدّيقين وبين الحياة البدنية، فإن البدن لا بد من موته بالقتل، أو بالصورة الطبيعية بحكم بنائه المادي وذلك مشهود حسّاً.

وأما محمد بن شاذان بن نعيم فإنه رجل من شيعتنا
أهل البيت.

وأما أبو الخطاب محمد بن أبي زينب الأجدع (من رؤوس
الغلاة) فملعون، وأصحابه ملعونون، فلا تجالس أهل مقاتلتهم فإني
منهم بريء وآبائي منهم بُراء.
وأما المتلبسون بأموالنا فمن استحل منها شيئاً فأكله فإنما يأكل
النيران.

وأما الخمس فقد أبيح لشيعتنا وجعلوا منه في حل إلى وقت ظهور أمرنا لنطيّب ولادتهم، ولا تخبث.
وأما ندامة قوم شكّوا في دين الله على ما وصلونا به، فقد أقلنا من استقال فلا حاجة إلى صلة الشاكّين.
وأما علة ما وقع من الغيبة فإن الله عزّ وجلّ يقول: (يا أيّها الذين
آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ) ^(١٥٠) إنه لم يكن أحد من آبائي إلا وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية
زمانه، وإنني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي.
وأما وجه الانتفاع بي في غيبتني فكالانتفاع بالشمس إذا
غيبتها عن الأبصار السحاب ^(١٥١)، وإنني لأمان لأهل الأرض كما أن
النجوم أمان لأهل السماء ^(١٥٢)، فأغلقوا أبواب السؤال عما لا
يعنيكم، ولا تتكلفوا علم ما قد كفيتم، وأكثرُوا الدعاء بتعجيل الفرج فإن
ذلك فرجكم. والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب وعلى من اتبع
الهدى ^(١٥٣).

وكانت وفاته في آخر جمادى الأولى سنة (٣٠٤ أو سنة ٣٠٥ هـ).

النائب الثالث

(١٤٩) ما أكثر التوقيعات التي صدرت بإرجاع أموال إلى أصحابها وإخبارهم بما لم يعلموا هم أنفسهم بوجه الشبهة فيها، راجع:
الصدوق، كمال الدين، ص ٤٥٠.

(١٥٠) المائدة: ١٠١.

(١٥١) هذا مثال رائع ومطابق، فالشمس رغم ما يبدو من تغطية السحاب لها تظل أشعتها نافذة تضيء الأرض، وغياب الإمام(عليه
السلام) واقتصار الصلة به على الخاصة وبوساطة النواب، وبالتسديد الخفي في ما يطلعه الله عليه من شؤون المسلمين أشبه بذلك;
أي أن الإفادة من علمه وبركاته وشفاعته تظل قائمة. وفي مذكرناه - من شواهد - وأشرنا إليه ما يكفي لإثبات ذلك.

(١٥٢) النجوم مراكز استقطاب للكواكب، كما هو بالنسبة إلى شمسنا بالنسبة إلى تابعها. ووبانفجارها أو موتها ينفطر عقد الكواكب.
وترطم ببعضها وتفتى، وقد سجل العلم موت نجوم أصبحت ما يسمى بالثقوب السوداء، فابتلعت ما حولها من كواكب بل مجرات.
راجع ستيفن هوكينغ، موجز تاريخ الزمن، فصل ٦، الثقوب السوداء، ص ١٣٧ وما بعدها.

(١٥٣) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص ٤٥١ و ٤٥٢، الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢،

ص ٢٨١ - ٢٨٤.

الشيخ أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي، رضوان الله عليه. ذكر المؤرخون أنه كان لدى أبي جعفر محمد بن عثمان العمري، (رحمه الله)، أثناء حياته نحو عشرة رجال يعتمدهم في قضاء حاجاته، منهم أبو القاسم الحسين بن روح، (رحمه الله)، وكلهم كانوا - كما يبدو - أخص من لديه حتى أنه كان ينجز حاجاته على الأغلب على يد غيره، وقد فسروا ذلك بأنه كان أقل خصوصية لديه منهم، ولكن الاختيار وقع آخر الأمر عليه.

ماورد من التواقيع بواسطته

مما خرج عن الإمام (عليه السلام) رداً على الغلاة جواباً لكتاب كتِّبَ إليه على يدي محمد بن علي بن هلال الكرخي التوقيع التالي:

«يا محمد بن علي، تعالى الله وجلّ عما يصفون سبحانه وبحمده، ليس نحن شركاءه في علمه ولا في قدرته بل لا يعلم الغيب غيره، كما قال في محكم كتابه تباركت أسماؤه: (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ) (١٥٤).

وأنا وجميع آبائي من الأولين: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وغيرهم من النبيين، ومن الآخرين محمد رسول الله وعلي بن أبي طالب وغيرهم ممن مضى من الأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) إلى مبلغ أيامي ومنتهى عصري عبيد الله عزّ وجلّ.

يقول الله عزّ وجلّ: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى) (١٥٥).

يا محمد بن علي، قد آذانا جهلاء الشيعة وحمقاؤهم، ومن دينه جناح بعوضة أرجح منه. فأشهد الله الذي لا إله إلا هو وكفى به شهيداً ورسوله محمداً (صلى الله عليه وآله)، وملأته وأنبياءه وأولياءه (عليهم السلام) وأشهدك، وأشهد كل من سمع كتابي هذا أنني بريء إلى الله وإلى رسوله ممن يقول إنا نعلم الغيب (١٥٦) ونشاركه في ملكه أو يحلنا محلاً سوى المحل الذي رضي له لنا، وخلقنا له، أو يتعدى بنا عما قد فسرته لك وبينته في صدر كتابي.

(١٥٤) النمل: ٦٥.

(١٥٥) طه: ١٢٤ - ١٢٦.

(١٥٦) رأي العلماء أن المنفي من علم الغيب عن المخلوق هو علم الغيب الذاتي والمطلق، أما ما كان بأقدار من الله أو بتعليم وما كان نسبياً فهو مما يكون للمخلوق، وذلك ثابت قرأنا بحكم قوله تعالى: (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ) (الجن: ٢٦ و ٢٧)، وقوله تعالى بلسان المسيح: (وَأَنْتُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ) (آل عمران: ٤٩). وكإنباءات الخضر لموسى وغير ذلك. وكإخبارات الرسول (صلى الله عليه وآله) عن المهدي وأشراف الساعة، ولذلك قال الإمام علي (عليه السلام) للذي قال له حين أخبر عن بعض الأحداث: أتعلم الغيب؟ قال: لا، ولكنه تعلم من ذي علم. وقد أثبتت الدراسات البارساكولوجية الموثقة - كما سيأتي - إخبارات غيبية نسبوية صحيحة لذوي مواهب روحية من عامة الناس. فيكون نفي الإمام (عليه السلام) هنا ما أثبتته الغلاة له من الاستقلال بالعلم، لا بتعليم من الله.

وأشهدكم أن كل من نبأ منه فإن الله يبرأ منه وملانكته ورسله وأولياؤه، وجعلت هذا التوقيع الذي في هذا الكتاب أمانة في عنقك، وعنق من سمعه أن لا يكتمه عن أحد من مواليّ وشيعتي حتى يظهر على هذا التوقيع الكل من الموالي، لعل الله عزّ وجلّ يتلافاهم فيرجعون الى دين الله الحق، وينتهو عما لا يعلمون منتهى أمره، ولا مبلغ منتهاه. فكل من فهم كتابي ولا يرجع إلى ما قد أمرته ونهيته فقد حلت عليه اللعنة من الله وممن ذكرت من عباده الصالحين»^(١٥٧).

وهناك توقيعات أخرى كثيرة منها التوقيع الذي سنذكره في الجزء الثاني الخاص بأدعياء المهديّة والبابيّة عن الشلمغاني وأشباهه، مضافاً لروايته عن الإمام أبي محمد الحسن العسكري (عليه السلام)^(١٥٨).

استمرت نيابة الشيخ ابن روح للإمام المهدي من سنة (٣٠٤ أو ٣٠٥ هـ). لدى وفاة أبي جعفر العمري، (رحمه الله)، حتى وفاته في شعبان سنة (٣٢٦ هـ)؛ أي أكثر من عشرين سنة، هذا عدا السنين التي قضاها لصقاً للشيخ العمري (رحمه الله). وقد أوصى بأمر الإمام المهدي (عليه السلام) إلى النائب الرابع.

الإمام الرابع

وهو أبو الحسن علي بن محمد السمرري (رضي الله عنه) المتوفى في النصف من شعبان سنة (٣٢٩ هـ).

قال الشيخ الطوسي (رحمه الله)، في الغيبة: أخبرني محمد بن محمد النعمان والحسين بن عبيدالله أحمد بن محمد الصفواني، قال:

أوصى الشيخ أبو القاسم (رضي الله عنه) إلى أبي الحسن علي بن محمد السمرري (رضي الله عنه)، فقام بما كان إلى أبي القاسم^(١٥٩).

وروى ذلك مسنداً عن أبي عبدالله محمد بن خليلان قال:

حدثني أبي عن جدّه عتاب من ولد عتاب بن أسيد وذكر حديثاً جاء فيه، وأوصى أبو القاسم إلى أبي الحسن علي بن محمد السمرري رضي الله عنه^(١٦٠).

ورغم قلة الروايات الواردة في الوصية إليه نسبة لمن تقدم من النواب الثلاثة السابقين فإن التسليم بها من قبل شيعة أهل البيت (عليهم السلام) قائم من زمنه حتى الآن، وما كان ذلك ليكون - وفيهم علماء محدثون ومتكلمون كبار - لو لم يكن ثابتاً بصورة لا تقبل الريب.

(١٥٧) الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٨٨ و ٢٨٩.

(١٥٨) محمد علي الأبطحي، تهذيب المقال: ٤١٠/٢، ط ١.

(١٥٩) الغيبة، الطوسي: ٢٤٢.

(١٦٠) الغيبة، الطوسي: ٢٤١.

قال الشيخ الطبرسي، وأورد ذلك المجلسي عنه:
وأما الأبواب المرضيون والسفراء الممدوحون في زمان الغيبة، فأولهم الشيخ الموثوق به أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري. وبعد حديث عن تاريخ نيابته للأئمة قال:
فلما مضى لسبيله قام ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان مقامه، وناب منابه في جميع ذلك.
فلما مضى هو قام بذلك أبو القاسم حسين بن روح من بني نوبخت. فلما مضى هو قام مقامه أبو الحسن علي بن محمد السمرى. ولم يبق أحد منهم إلا ينص عليه من قبل صاحب الأمر (عليه السلام)، ونصب صاحبه الذي تقدم عليه، ولم تقبل الشيعة قولهم إلا بعد ظهور آية ومعجزة تظهر على يد كل واحد منهم من قبل صاحب الأمر (عليه السلام) تدل على صدق مقالته، وصحة نيابته^(١٦١).

الإمام المهدي (عليه السلام) يخبر نائبه السمرى بوفاته ويأمره بعدم الوصية لأحد
روى الشيخ الصدوق (رحمه الله) قال: حدثنا أبو محمد أحمد بن الحسن المكتب قال: «كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ أبو الحسن علي بن محمد السمرى (قدس سره)، فحضرته قبل وفاته بأيام فأخرج توقيعاً نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

يا علي بن محمد السمرى، عظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبينه ستة أيام فأجمع أمرك، ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية. (وفي رواية الطوسي التامة)، فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفينائي والصيحة فهو كاذب مفتر^(١٦٢)، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

قال: فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه فقيل له: من وصيك من بعدك؟
فقال (رحمه الله): لله أمر هو بالغه.

ومضى (رضي الله عنه)، فهذا آخر كلام سمع منه (رحمه الله)^(١٦٣)، وكانت وفاته في النصف من شعبان سنة (٣٢٩ هـ)^(١٦٤).

(١٦١) الطبرسي، الاحتجاج: ٢/٢٩٦، المجلسي، البحار ج ١٥ ص ٣٦٢.

(١٦٢) في رواية الطوسي والطبرسي والمجلسي عنه: «كذاب مفتر».

(١٦٣) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة: ٤٨٠، الطوسي، الغيبة: ٢٤٢ و ٢٤٣، الطبرسي، الاحتجاج: ٢٩٧، المجلسي، البحار ج ١٥ ص ٣٦١.

الفصل السابع

لقاءات الإمام المهدي أثناء غيبته الكبرى

وفي هذا الفصل نذكر جملة من لقاءات الإمام المهدي في غيبته الكبرى مع علماء الطائفة وأجلائها ومراجعها الكبار الأمر الذي يتجلى من خلاله ولادة الإمام ووجوده بين ظهرانينا يقوم بأعماله على أكمل وجه يرانا ولا نراه.

وكان خروج التوقيع الأخير الى أبي الحسين السمرى النائب الرابع للإمام المهدي، والذي أصبح فيما بعد مثاراً للجدل والنقاش وخصوصاً في كيفية الجمع بينه وبين عشرات الحكايات التي تدل على مشاهدة الجمال الأنور لمولانا صاحب العصر والزمان (عج) في عالم اليقظة لا النوم، خاصة وأن كبار علمائنا كالشيخ الأنصاري والعلامة بحر العلوم والسيد أبوالحسن الاصفهاني والمقدس الأردبيلي وغيرهم، كانوا من جملة من تشرف بلقائه (عج).

فمن جهة لا نحتمل أدنى احتمال كذب هؤلاء المقدّسين في دعواهم، ومن جهة أخرى فإن الحديث يكذب مدعي المشاهدة، فكان لابد من الجمع بينهما بنحو من أنحاء الجمع. لكن العلماء قد جمعوا بين هذين الأمرين وذكروا عدة وجوه نذكر على سبيل الاختصار ما ذكره صاحب كتاب بحار الأنوار، قال العلامة المجلسي:

«لعله محمول على من يدّعي المشاهدة مع النيابة وإيصال الأخبار من جانبه (عليه السلام) الى الشيعة على مثال السفراء».

إذن، فالمراد من المشاهدة التي يكذب مدعيها في زمن الغيبة الثانية (الكبرى) هو المشاهدة مع ادعاء النيابة الخاصة التي انتهت بصريح الرواية بموت النائب الرابع علي بن محمد السمرى، وتوضيح هذا الوجه كما يلي:

النيابة أو السفارة الخاصة للإمام الحجة (عج) تحتاج الى تعيين من قبله (عليه السلام)، وهكذا كان بالنسبة للنائب الأوّل وهو عثمان ابن سعيد.

وحينما دنى أجل عثمان بن سعيد أخبره (عليه السلام) بذلك وأمره بالوصية الى محمد بن عثمان الخلاني ليخلفه في النيابة الخاصة، فاضحى الأخير، النائب الثاني للإمام في الغيبة الصغرى وكان يشاهد الإمام (عج) ويتلقى منه الأوامر والتعليمات وأجوبة المسائل التي كانت توجه إليه.

وحينما دنى أجل محمد بن عثمان نعتت إليه نفسه من قبل الإمام(عليه السلام)وأمر بالوصية الى الحسين بن روح ليكون النائب الخاص الثالث.

وهكذا الأمر بالنسبة الى الحسين بن روح أوصى بأمر من الإمام(عليه السلام) الى علي بن محمد السمرى الذي صار النائب الرابع للإمام(عليه السلام) والسفير الخاص في الغيبة الصغرى التي استمرت لسبعين عاماً تقريباً، حيث بدأت من وفاة الإمام العسكري(عليه السلام) في أوائل سنة (٢٦٠ هـ) الى وفاة السمرى سنة (٣٢٩ هـ).

والنكته المهمة هنا هي أنه في كل مرة كان يخرج توقيع الإمام(عليه السلام) للنائب الفعلي يبين له النائب اللاحق ولم يرد في أي من تلك التوقيعات مسألة تكذيب مدعي المشاهدة إلا التوقيع الأخير الذي ذكرناه في الفصل السابق.

ومن ثم تتضح لنا أهمية تضمين التوقيع الشريف فقرة تكذيب مدعي المشاهدة، فإن ذلك هو لسد باب افتراء النيابة الخاصة وتضليل الشيعة واغوائهم.

إذن، فمن أخذ هذه الفقرة بدون ملاحظة ظروف صدور التوقيع ومناسباته، فإنه سيقع حتماً في ذلك التوهم وهو تكذيب مدعي المشاهدة المجردة عن النيابة الخاصة وأما لو لوحظت الفقرة منظمّة الى صدر الخبر مضافاً الى تلك القرائن السياقية، فإنه لن يشتبه الأمر على أحد في امكان التشرف بخدمته من دون ادعاء النيابة أو السفارة الخاصة.

ولعله، يمكن لنا من خلال التدقيق في نفس هذا الخبر أن نستكشف أن المراد من المشاهدة هنا هو «الظهور» وانتهاء أمد الغيبة الكبرى، خصوصاً إذا علمنا أن من العلامات القريبة من الظهور هو خروج السفيناني والصيحة.

فتكذيب مدعي المشاهدة قبل هاتين علامتين، يعني عدم تكذيبه بعدها، فيكون المراد من المشاهدة، المشاهدة زمن الحضور بعد الغيبة الكبرى، وهو منفي في كل الحكايات التي نقلت عن تشرفات العلماء بلقاء الإمام الحجة(عج) فلا يدعي أحد منهم انتهاء الغيبة الكبرى. وفيما يلي نقتصر على بعض اللقاءات:

١ - ذكر في ملحقات كتاب أنيس العابدين نقلاً عن السيد ابن طاووس(رضي الله عنه) أنه قال: سمعت سحراً في السرداب^(١٦٥) عن صاحب الأمر(عج) كان يناجي ويقول:

«اللهم أن شيعتنا خلقت من شعاع أنوارنا وبقيّة طينتنا وقد فعلوا ذنوباً كثيرة اتكالاً على حبنا وولايتنا فإن كانت ذنوبهم بينك وبينهم فاصفح بينهم وقاصّها عن خمسنا وأدخلهم الجنة وزحزحهم عن النار ولا تجمع بينهم وبين أعدائنا في سخطك».

(١٦٥) موضع في مدينة سامراء وهو الطابق تحت الأرضي لبית الإمام العسكري(عليه السلام) وكانت غيبة الإمام المهدي(عليه السلام) فيه وهو الآن مجاور الروضة العسكرية على مشرفها السلام.

٢ - السيد محمد مهدي الطباطبائي «بحر العلوم» من علماء الشيعة الفطاحل، تشرف مراراً بخدمة ولي الله الأعظم الإمام الحجة ابن الحسن العسكري (عج) وقد نقل المحدث القمي (قدس سره) في كتاب رجاله ثمان حكايات ترتبط بكرامات هذا العالم الجليل وتشرفاته بخدمة ناموس العصر (عج) ورد في أحدهما أن الإمام (عج) ولفرط حبه ولطفه وكرمه بالسيد، احتضنه وضمه الى صدره الشريف.

٣ - نقل السيد حسن الأبطحي في كتابه الكمالات الروحية الجزء الثاني أن أحد تلامذة الشيخ الأنصاري قال: خرجت ذات ليلة من منزلي في مدينة كربلاء المقدسة بعد منتصف الليل، وكان الظلام دامساً والأزقة مملوءة بالوحل على أثر هطول المطر، وكنت أحمل معي سراجاً.

وبينما أنا سائر في الطريق، رأيت من بعيد شخصاً يقترب، فدققت النظر فعرفت أنه الأستاذ الشيخ الأنصاري (قدس سره) وبرؤيته في ذلك الظلام تساءلت مع نفسي ترى الى أين يذهب الأستاذ في هذا الليل المظلم وفي هذه الأزقة الموحلة مع ما به من ضعف في البصر؟ وتخوفاً عليه من أن يكون قد كمن له أحد في الطريق مشيت خلفه دون أن يشعر. وسار الشيخ حتى وصل الى باب دار ووقف عندها وأخذ يقرأ الزيارة الجامعة بخشوع. وبعد أن أتم قراءة الزيارة فتحت له الباب ودخل الى داخل الدار، فلم أعد أرى شخصه ولكني سمعته يتحدث مع شخص في داخل الدار.

بعد ساعة تشرفت بزيارة الحرم المطهر ورأيت الشيخ هناك. وفيما بعد، وعندما زرت سماحته سألته عن قصته تلك الليلة، وبعد اصرار كثير أجابني قائلاً:

أحياناً أحصل على إذن التشرف بخدمة إمام العصر (عج) ولقائه، فأذهب وأقف الى جنب تلك الدار وأزوره بالزيارة الجامعة، فإن صدر إذن ثان، تشرفت بزيارته في تلك الدار وسألته عن بعض المطالب واسمته منه العون واعدود.

ثم أن الشيخ (قدس سره) أخذ مني عهداً على عدم افشاء هذا الأمر مادام هو على قيد الحياة.

٤ - كان أحد علماء بلاد اليمن ويلقب بـ (بحر العلوم) وهو زيدي المذهب ينكر الوجود المقدس لمولانا صاحب العصر والزمان (عج).

وكان هذا العالم قد كتب رسائل كثيرة الى علماء الشيعة في زمانه طالباً منهم الأدلة المقنعة على اثبات وجوده الشريف ولكنه لم يقتنع بأجوبتهم وأدلتهم.

فكتب أخيراً رسالة مفصلة الى سماحة الحجة آية الله السيد أبو الحسن الأصفهاني (قدس سره) والذي كان في النجف الأشرف، طالباً منه الأدلة القاطعة على اثبات وجود الإمام الحجة (عج).

أجابه السيد أبو الحسن الاصفهاني برسالة جاء فيها: اقدم الى النجف الأشرف وسأجيبك شفاهة عن مسألتك.

ولما كان هذا العالم الزيدي طالباً للحقيقة في واقع الأمر، لذا شدّ الرحال مع ولده سيد إبراهيم وجمع من مريديه الى النجف الأشرف.

وعندما وصل الى النجف التقى السيد الاصفهاني وقال له: لقد جئت الى النجف كما دعوتني وأمل أن تجيبني كما وعدتني، قال له السيد: نعم، تعال غداً مساءً الى منزلي وسأجيبك عن سؤالك.

وفي مساء اليوم الثاني جاء بحر العلوم اليماني مع ولده الى منزل السيد الاصفهاني، وبعد تناول طعام العشاء والبحث في المطالب العلمية حول وجود المولى صاحب العصر والزمان (عج) انصرف بقية الضيوف وبقي بحر العلوم وولده عند السيد مع بعض الخواص. وبعد انتصاف الليل قال المرحوم السيد الاصفهاني لخدمته (مشهدي حسين): احمل السراج وتعال معنا.

وقال للسيد بحر العلوم وولده: هيا بنا نذهب لترون بأنفسكما صاحب الزمان (عج). يقول السيد ميرجهاني: كنّا حضوراً هناك فأردنا أن نذهب معهم فلم يقبل السيد الاصفهاني وقال: ليأت بحر العلوم وولده فقط.

فذهبوا ولم نعرف الى أين يذهبون، ولكن في اليوم الثاني وعندما التقينا ببحر العلوم وولده سألناه عما جرى في الليلة السابقة فقال:

بحمد الله، لقد تشرفنا باعتناق مذهبكم ونحن الآن نعتقد بوجود وليّ العصر والزمان (عج). قال: لقد أرانا السيد الاصفهاني الإمام الحجة (عج).

فسأله: وكيف أراكم بقية الله (عج)؟

قال: عندما خرجنا من المنزل لم نكن ندري الى أين يذهب بنا السيد، حتى وصلنا الى وادي السلام وفي وسط الوادي محل يقال له «مقام صاحب الزمان (عج)» عندما وصلنا الى المقام، أخذ السيد الاصفهاني السراج من مشهدي حسين وأخذني معه الى داخل المقام وهناك جدد وضوءه وصلى أربع ركعات في المقام وتلقّظ ببعض الكلمات التي لم أفهمها في حين كان ابني يضحك على أفعاله تلك.

وفجأة أضاء الفضاء، وهناك يقول إبراهيم ابن بحر العلوم: في هذه الأثناء كنت خارج المقام وكان أبي والسيد أبو الحسن الاصفهاني داخل المقام وبعد عدة دقائق سمعت صوت أبي الذي كان يصيح بصوت عال ثم أغمي عليه.

اقتربت منه فرأيت السيد الاصفهاني يمرّغ له كتفيه حتى أفاق. وعندما رجعنا من هناك قال لي أبي: لقد رأيت حضرة بقية الله وولي العصر (عج) وقد شرفني باعتناق المذهب الشيعي الاثني عشري، ولم يقل أبي أكثر من ذلك. بعد عدة أيام رجع بحر العلوم وولده ومن معهم الى اليمن وصار سبباً في تشييع أربعة آلاف يمني زيدي واعتقادهم بالمذهب الاثني عشري.

لا يخفى أن الأسلوب الذي اتبعه السيد أبو الحسن الاصفهاني مع بحر العلوم اليمني لاثبات وجود الحجة (عج) هو من أفضل أساليب الاقتناع، ولكن ليس هو الأسلوب الوحيد بل هناك أساليب كثيرة يمكن اعتمادها في هذا المجال، ولعلّ السيد الاصفهاني كان قاطعاً بأن تلك الأساليب لا تنفع مع هذا الرجل، ولأنّ هناك فائدة كبيرة في اقناعه بوجود الحجة (عج) كتشييع آلاف الناس، بتشيعه اضطر السيد لاستعمال هذا الأسلوب، ولاشك في أنّه إنّما تمّ باجازه الإمام الحجة (عج) وإلا فإن الإمام الحجة (عج) ليس روحاً يمكن احضارها وتسخيرها متى ما شاء الآخرون - نعوذ بالله من مثل هذه التصورات - بل لا يمكن لأحد أن يراه ويتعرف عليه إلا بإرادة الله تعالى.

فكل ما جرى إذن، إنّما جرى لحكمة ومصلحة إلهية وقد لا تتوفر هذه المصلحة في الموارد الأخرى.

٥ - ذكر الشيخ الجليل أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطبرسي (صاحب تفسير مجمع البيان) في كتابه كنوز النجاح قال:

دعاءً علّمه صاحب الزمان (عليه السلام) «الله الملك المنان» أبا الحسن محمد بن أحمد بن أبي الليث رحمة الله تعالى عليه في بلدة بغداد في مقابر قريش. وكان أبو الحسن هذا قد هرب الى مقابر قريش والتجأ إليها خوفاً من القتل فنجّي منه ببركة هذا الدعاء.

قال أبو الحسن المذكور أنّه علّمني أن أقول:

«اللهمّ عظم البلاء وبرح الخفاء وانقطع الرجاء وانكشف

الغطاء وضافت الأرض ومنعت السماء وإليك ياربّي المشتكى

وعليك المعول في الشدة والرخاء. اللهم فصلّ على محمد وآل

محمد أولي الأمر الذين فرضت علينا طاعتهم وعرفتنا بذلك

منزلتهم ففرّج عَنَّا بحقهم فرجاً عاجلاً قريباً كلمح البصر أو هو
أقرب يا محمد يا علي اكفياني فإنكما كافيائي وانصراني فإنكما
ناصراي يا مولاي يا صاحب الزمان الغوث الغوث الغوث أدركني
أدركني أدركني».

قال الراوي: أنّه (عج) عند قوله: «يا صاحب الزمان» كان يشير الى صدره الشريف^(١٦٦).

هذه الحكاية وان لم يرد فيها تفاصيل اللقاء والتشرف إلا أن نقل الطبرسي لها وذكر هذا الدعاء يدل على قبوله لها. والمستفاد من هذه الحكاية أنّ الإمام(عج) يتلطف على شيعته ومواليه عندما تضيق بهم الأمور.

وهذا المعنى يستفاد من كثير من الحكايات، كما أنّه هو المستفاد من ألقابه وكناه صلوات الله عليه حيث يلقب بـ (الغوث).

٦ - نقل السيد الشهيد القاضي نور الله الشوشتري(قدس سره) في «مجالس المؤمنين» أنّه اشتهر عند أهل الإيمان أن بعض علماء أهل السنة ممّن تتلمذ عليه العلامة في بعض الفنون، ألف كتاباً في ردّ الإمامية ويرأه للناس في مجالسه ويضلّهم وكان لا يعطيه أحداً خوفاً من أن يرده أحد من الإمامية.

فاحتال العلامة(قدس سره) في تحصيل هذا الكتاب الى أن جعل تتلمذه عليه وسيلة لأخذه الكتاب منه عارية، فالتجأ الرجل واستحى من رده وقال: إني آليت على نفسي أن لا أعطيه أحداً أزيد من ليلة واحدة، فاغتنم الفرصة في هذا المقدار من الزمان. فأخذه منه العلامة وأتى به الى بيته لينقل منه ما تيسر منه للرد عليه.

فلما اشتغل بكتابته وانتصف الليل، غلبه النوم فحضر الحجة(عج) وقال: ولّني الكتاب وخذ في نومك.

فانتبه العلامة وقد تم الكتاب باعجازه(عليه السلام). وفي بعض المؤلفات أنّه كتب في آخر الكتاب: من هذه الحكاية يُستفاد أمور:

الأول: عناد المخالفين واصرارهم على الكيل والنيل من اتباع أهل البيت (عليهم السلام) على الرغم من كل ما ورد في كتبهم في أحقية مذهب أهل البيت عليهم الصلاة والسلام. فهؤلاء ولتعصبهم الأعمى على مرّ الأزمنة وليوم الناس هذا يحاولون اطفاء نور الله بأفواههم وأقلامهم حتى أن هذا المعاند الوارد ذكره في القصة سطر بزعمه ألفي دليل على ابطال الحق!! فردّه العلامة (قدس سره) بألفي دليل لاثبات مذهب الحقّ وسمّي الكتاب بالألفين.

الثاني: جدّ اتباع المذهب كالعلامة وغيره وتحملهم العناء من أجل نصرة المذهب والحقّ حتى اضطرّ العلامة أن يحتال ويتئلّم عند هذا الشخص الذي لا يليق لأن يكون تلميذاً عند العلامة، كل ذلك من أجل الدفاع عمّن أمرنا بمودّتهم ومتابعتهم في القرآن، الكريم والذين جعلهم النبيّ الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله) عدل القرآن.

الثالث: لطف الإمام الحجة (عج) بهؤلاء العلماء وبالشيعية والطائفة الحقة والفرقة المحقّة، ولاشك في ذلك وهو مظهر الرحمة الإلهية واللفظ الربّاني حيث رأيت كيف أنّه سلام الله عليه تدخل بنفسه الشريفة لنصرة أتباع مذهب أجداده الطاهرين (عليهم السلام) .

الخلاصة

لقد ثبت من خلال البحث أن الإمام المهدي المعني في مصادر الفريقين هو الإمام محمد المهدي بن الحسن العسكري (عليه السلام) انطلاقاً من الأدلة الروائية والتاريخية الثابتة كحديث الثقلين وغيره، وبها يثبت أيضاً من أنه (عليه السلام) قد ولد، مضافاً للواقع التاريخي الذي ينقل لنا ظروف الولادة المحيطة بالإمام العسكري من جهة التزوج بأمّه وحضور أخته حكيمة التي حضرت لحظات المخاض وولادة الإمام كما تحدّثت روايات أخر عن ضرورة اخفاء ولادته وبيان علّتها، ثم الأسلوب الذي سلكه الإمام العسكري حين كان يعرض وليده على الخواص من مواليه، وبعد ذلك تعرضنا الى أنشطة الإمام المهدي نفسه أثناء الغيبة الصغرى التي تثبت هي الأخرى ولادته.

وأخيراً لقاءات الإمام المهدي مع المخلصين من الأمة أثناء الغيبة الكبرى وبهذه الأدلة
النقلية الثابتة يحصل لنا اليقين بولادته، نفي المدعى الآخر الذي يذهب الى عدمها ويعتقد
بولادته فيما بعد وأنه ليس ابن الإمام الحسن العسكري.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفهرس

- مقدمة المجمع ... ٥
- المقدمة ... ٩
- الفصل الأول: الإمام المهدي خاتم الأئمة المعصومين (عليهم السلام) ... ١١
- أولاً: من هو المهدي؟ ... ١٢
- شمائله ... ١٨
- ثانياً: طول عمر الإمام (عليه السلام) ... ١٨
- ثالثاً: نسب الإمام المهدي (عليه السلام) ... ٢٢
- الفصل الثاني: الإمام المهدي خاتم الأئمة المعصومين (عليهم السلام) ... ٣٣
- حديث الثقلين ... ٣٣
- الفصل الثالث: كيفية التحقيق العلمي في ولادته (عليه السلام) ... ٣٩
- الفصل الرابع: الواقع التاريخي لولادته ... ٤٦
- أولاً: ظروف الولادة ... ٤٦
- ثانياً: الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) وظروف الولادة ... ٥٢
- ثالثاً: الأخبار الدالة على إخفاء ولادة الإمام (عليه السلام) ... ٥٨
- رابعاً: علة إخفاء ولادته (عليه السلام) ... ٦٠
- الفصل الخامس: نشاطات الإمام (عليه السلام) العامة ... ٦٤
- أولاً: وجوده وإمامته ... ٦٤
- ثانياً: صيانة تراث آبائه (عليه السلام) ... ٦٤
- ثالثاً: النيابة الخاصة ... ٦٥
- رابعاً: الإمام العسكري (عليه السلام) يعرض ولده على الخواص ... ٦٧
- خامساً: دور الإمام العسكري (عليه السلام) في الإعلان عن الولادة ... ٧٢
- سادساً: الإمام (عليه السلام) والسلطة العباسية ... ٧٩
- سابعاً: الكيان الشيعي ... ٨٧

الفصل السادس: النواب الأربعة في الغيبة الصغرى ... ٨٩

النائب الأول ... ٩٢

ماورد من التوقيعات ... ٩٧

النائب الثاني ... ١٠٠

ماورد عنه من التواقيع ... ١٠٢

النائب الثالث ... ١٠٧

ماورد من التواقيع بواسطته ... ١٠٨

الإمام الرابع ... ١١٠

الإمام المهدي(عليه السلام) يخبر نائبه السمرى بوفاة ويأمره بعدم الوصية لأحد ... ١١٢

الفصل السابع: لقاءات الإمام المهدي أثناء غيبته الكبرى ... ١١٤

الخلاصة ... ١٢٧

الفهرس ... ١٢٩